

دراسات فلسفية والثقافية اليابانية

إعداد وتأليف
د. علاء علي زين العابدين
قسم اللغة اليابانية وآدابها
كلية الآداب - جامعة القاهرة



منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET



دراسات في الفكر والثقافة اليابانية

إعداد وتأليف

د. علاء على زين العابدين

قسم اللغة اليابانية وآدابها

كلية الآداب – جامعة القاهرة

دراسات في الفكر والثقافة اليابانية

المؤلف:

د. علاء علي زين العابدين

تصميم الغلاف:

م/ سامر محمود

التنسيق الداخلي:

الصالح للكمبيوتر والكتاب

الناشر:

دار العلوم للنشر والتوزيع - القاهرة - مصر

رقم الإيداع:

2005/16457

الترقيم الدولي:

977-380-058-x

سنة الطبع

1426 هـ / 2006 م

العنوان:

٤٣ ب شارع رمسيس - أمام جمعية الشبان المسلمين
- الدور السادس - شقة ٧١ - معروف.

المراسلات:

القاهرة 11518 محمد فريد 202 ص.ب:

هاتف: (202)5761400

فاكس: (202)579907

إدارة المبيعات:

0101636192-0124940270

0124068553-0127221936

البريد الإلكتروني:

daralaloom@hotmail.com

daralaloom2002@yahoo.com

حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر

مُقَدِّمَةٌ

ما من أمة إلا وأعطاها الله أسباب التقدم والرقى فإن أحسنت استخدام هذه الأسباب نالت ما تبتغيه وارتقت مع الأمم الراقية، أما إن تجاهلت هذه الأسباب وأساءت فهم سنة الله في الكون فقد تخلفت عن ركب الحضارة وفقدت أهليتها كأمة إنسانية..

واليابان من الأمم التي أحسنت استخدام الأسباب الكونية ووظفتها خير التوظيف لإنجاح مسيرتها في الحياة، ومنذ القدم واليابان تحرض على فهم حكمة الطبيعة والانسجام مع حركتها انسجاماً لا يخلق عداءً لها أو خوفاً منها، فالطبيعة التي حباها الله بها هي مصدر حياتها ومنها استوحت فلسفتها في الحياة والموت، ولم يكن هناك بد من المحافظة على جمالها وعدم تدميرها لأنها تمثل إكسير الحياة ولقد آمن اليابانيون - شأنهم شأن مجتمعات الشرق - بوجود آلهة تكمن في هذه الطبيعة تمدهم بالخير أو تمنع عنهم الشر فأقاموا طقوسهم الدينية لإرضاء هذه الآلهة وظلت اليابان - وإلى يومنا هذا - ترفض الأديان العالمية - السماوية وتقيم حجتها وبراهينها على أساس التنوع في الثقافة أو النسبية في المعايير هرولاً من الخضوع لأي هيمنة ثقافية أجنبية رافضة التخلي عن أفكارها القديمة التي لا تتناسب مع مكانتها العالمية في عالم الصناعة والاقتصاد معتبرة ذلك حقاً من حقوقها المشروعة في الاعتقاد حتى ولو كان اعتقاداً خرافياً..

إن اليابان وإن كانت لم تتحول نحو العالمية في مسألة الاعتقاد إلا أن هناك قلة من

اليابانيين المستنيرين الذين جابوا الأرض بحثاً عن الحقيقة ووصلوا إلى قناعة بحتمية التغير في قضية الاعتقاد ، وربما خلصوا إلى أن الإسلام هو الدين السماوي الوحيد الذي يصلح للإيمان والاعتقاد ولكن الخوف من الغرب الذي يتحكم في مصالح العالم، ومظاهر التردى الحضارى الذى تعيشه بلدان العالم الإسلامى ينعكس سلباً على قرارهم بتبني المشروع الإسلامى .. إن اليابان تعيش مرحلة دقيقة في تاريخها المعاصر فهى تبحث عن هوية تستمد منها القوة والتفوق على الآخرين ، ولكي تهدم المعبد القديم لابد من إرادة فولاذية يصنعها أبناءها الأحرار.. إن الطريق مفتوح أمامهم لتبنى فكرة الوحدة الآسيوية .. ذات الأغلبية المسلمة - تحت علم اليابان مستخدمة قدراتها التكنولوجية والاقتصادية لتحقيق هذه الوحدة ، إذا أظهرت الود نحو الإسلام وأكدت ذلك في دستورها . وهذا هو موضوع العصر وقضية اليابان المعجزة..

المؤلف

د/علاء على زين العابدين

قسم اللغة اليابانية

كلية الآداب جامعة القاهرة

٢٠٠٥/٩/١٦

رحلة إلى بلاد الوقواق

لعل ما دفعني إلى المغامرة و السفر إلى بلاد الوقواق هو رغبة جادة لمعرفة حقيقة أمة حرمت من الاتصال بالعالم الخارجي لمدة قرنين من الزمان وقد يزيد، إن اليابان لم تُعرف تاريخياً بهذا الاسم إلا مع مطلع القرن السابع عشر حينما غزا المبشرون الهولنديون أرض اليابان وبدأوا يتعرفون عليها ويدرسون لغتها بجهدهم الذاتي وأخذوا يترجمون ما عرفوه إلى لغتهم الأم سواء أصابوا في ذلك أم أخطأوا.

نظرت في وجوه هذا الشعب فوجدت الجدية والصرامة والشعور بالمسئولية تجاه وطنهم الكل لا تغيب عن ذاكرته قيمة العمل واحترامه وحب اليابان والرغبة في الانتهاء.

علاقة العرب باليابان لم تبدأ تاريخياً إلا مع مطلع القرن (التاسع عشر أو العشرين) وبصفة خاصة بعد أزمة البترول الطاحنة في أكتوبر ١٩٧٣. لقد شعر اليابانيون حكومة وشعباً بأهمية الاتصال بهذه المنطقة العربية وأخذوا يلتمسون إلى ذلك كل وسيلة ممكنة؛ وبدأ المتخصصون اليابانيون في انتهاز تلك الأحداث ليرجموا الكتب العربية المهمة وأعظمها "القرآن" إلى لغتهم الأم.. لكن لم تكن العلاقات تزيد على الرغبة في تأمين مصالحهم فقط والتأكيد على حسن نواياهم تجاه أمة العرب.

لقد بدأت حياتي الفعلية مع الشعب الياباني حينما وطأت قدماي أرض اليابان في أكتوبر ١٩٨٢ إثر بعثة دراسية لدراسة الآداب اليابانية، لم يكن الأمر بالشيء الهين ثقافياً ولا علمياً. أما ثقافياً فلا توجد عندهم أرضية مشتركة مع الثقافات ذات الصبغة العالمية فهي ثقافة ذاتية محدودة. وأما لغوياً لا تنتمي اللغة اليابانية إلى أي من الأسر اللغوية المعروفة عالمياً؛ فهي تختلف تركيباً ومعنى عن اللغات الأوربية أو حتى الشبيهة لها كالصينية والكورية. لقد كان الأمر نوعاً من المغامرة طمعا في المعرفة واستجلاب الحقيقة ونوعاً من التجربة الفريدة النادرة مع شعب نسمع عنه ولا نعرف حقيقته وجذوره. حينما سمعت عن اليابان في بداية حياتي الدراسية بالجامعة قارنتها مع الدول الأوربية المتقدمة باعتبار أنها قادرة على التصنيع والمنافسة ووضعتها على قدم المساواة مع قريتها الغربية؛ لكن بعد أن وطأت أرض تلك الجزر النائية وجدت اختلافاً جذرياً بين اليابان على أرض الواقع وبين اليابان خارج حدودها... لقد أدركت حقيقة الدعاية الفذة التي استخدمتها تلك الدولة لمحو كل أثر يعرقل مسيرة صناعتها

وتجارتها مع العالم الخارجي.. لقد أدركوا سلطان العصر وآمنوا به، وأعدوا أنفسهم لمعركة هم طرف فيها.. إنها معركة البقاء والرغبة في إثبات الذات ونبذ الفرقة وتقوية الإحساس بالانتماء للوطن. نعم لقد رأيت اليابانيين يتنافسون مع أغنى الدول رغبة في تضييق الفجوة بينهم وحباً لاستقلال أنفسهم من التبعية للغرب ومخالبه، لقد ساعدتهم على ذلك عقائد بسيطة لا تحرم حراماً ولا تحمل حلالاً لكن تؤكد شيئاً واحداً هو الانتماء للأرض والأجداد وترفض الفردية والتناحر.. شعرت بالحزى والحياء من نفسي لأن الانتماء في منطقتنا أصبح عملة نادرة يصعب الوصول إليه، بل ساورني شك عميق في تحقيق ذلك.

لقد أكدت معاملات هذا الشعب مع جيرانه الآسيويين وجود أسطورة يابانية صنعها رواد الفكر القومي تجعل منهم شعباً لا يقهر وأرضاً مقدسة وإمبراطوراً مؤلهاً.

نعم، لقد شاءت الأقدار أن يحرم هذا الشعب من تحقيق حلم الإمبراطورية العظمى إبان الحرب العالمية الثانية.. لقد آمن هذا الشعب إيماناً مطلقاً بفكر قاداته وقديسيه إمبراطوره، واتجهوا إلى العلم الحديث لتأكيد قوتهم وتحقيق مآربهم.. ترى هل كانت اليابان محقة في حربها لجيرانها الآسيويين واحتلالها لأراضيهم؟ الحقيقة أن هناك لغزاً ما زال غامضاً لدى الكثير من الباحثين في شئون اليابان ألا وهو إيمان هذا الشعب الشديد بمصلحته فقط واستغنائته الكامل عن التعاون مع الآخرين.. ذلك اللغز المحير يفسر سر اندفاع هذا الشعب وراء قاداته وتحت اسم إمبراطورهم في حرب شرسة مع العالم أجمع لتحقيق شيء واحد ألا وهو اليابان العظمى.. ورغم أن الحرب من الناحية العسكرية انتهت بهزيمة دولتهم، لكن الروح الباقية لم تمت بعد، إنهم مصرون على الحنث العظيم واحتلال العالم أجمع وتأكيد قوتهم.

لقد شعرت بشيء جديد في معاملاتى معهم علمياً وثقافياً، شعرت أن هناك رغبة منهم في المنافسة والبحث من جانب، وبعداً عن الجدل السوفسطائى من جانب آخر.. إن الجانب العلمى في حياتهم جعلهم غير متمسكين بالشعارات الرنانة والجدال العقيم، ولو أن ذلك ترك أثره الواضح على نهضتهم الإنسانية وحرهم من الدخول في عصابة الأمم المتحضرة، بل ما زالت اللغة اليابانية غير معترف بها كلغة دولية حتى الآن.

نعود من جديد إلى حقيقة كلمة "الوقواق" وأصلها التاريخى الذى يبدو غامضاً لدى كثير من القراء العرب فالكلمة أصلها اليابانى هو "واقوق" وهى التسمية التى أطلقها الآسيويون وبصفة خاصة الصينيين والكوريين على دولة اليابان قديماً، وقد تناولها التجار

المسلمون من خلال احتكاكهم مع قرنائهم الصينيين. ولا يوجد ثمة دليل على وجود اتصال بشري بين جزر اليابان والحضارة العربية ونعزو ذلك إلى فترة الانغلاق الطويلة التي شهدتها اليابان ودامت قرنين من الزمان وكان ذلك وقت بزوغ الإسلام وانتشاره شرقا وغربا.

وهناك مرويات ضعيفة تثبت وجود اتصالات على مستوى عال بين حكومة اليابان في ذلك الوقت والمعروفة باسم "الباكفو" وسلاطين مصر في العصر الحديث.. وإثبات ذلك من الناحية التاريخية يحتاج إلى وقت وجهد غير عاديين خاصة أن مصر في ذلك الوقت كانت خاضعة للحكم التركي، وأن الوثائق الدالة على ذلك مكتوبة باللغة التركية فقط.

إن الحديث عن اليابان لا بد أن يمر بترجمة حقيقية لعقائد اليابان في الألوهيات وطرائق تفكيرهم في حياتهم اليومية ثم في النهاية منظور العالم الخارجي عندهم، أما عقائدهم في الألوهيات فإنها لا تربو على عبادة الفرد ممثلة في شخص الإمبراطور وأسرته ورواد فكر الدولة المميزين، كذلك نجد تقديسا واضحا للطبيعة وجمالها يصل إلى حد العبادة وإقامة الطقوس والأعياد الخاصة بكل موسم، وأما طرائق تفكيرهم في حياتهم اليومية فإنهم لا يعرفون معنى غيب أو إله غير مرئي، وبالتالي فإن تصوراتهم لا تزيد على ماديات فقط، وأخلاقهم مرتبطة بهذا النظام المادي.. لذلك لا يوجد في قواميس اللغة اليابانية كلمة "إله" كما هو معروف في الإنجليزية باسم "جود" بل يقولون "كامي ساما" ويرمز إلى السيد أو الشخص ذي النفوذ والقوة.

أما منظور العالم الخارجي عندهم فإنه يخضع لمقاييس دقيقة جداً فإذا ارتبطت مصالحهم بدولة معينة فإنهم يوجهون جهدهم تجاه تلك الدولة أو الثقافة التي تحملها هذه الدولة، وأقرب مثال على ذلك هو علاقة السيد والمسود التي تصبغ علاقات الأفراد والجماعات بين الشعب الياباني.. إنها رمز لقانون الطبيعة الذي يحكم القوى والضعيف، فليس ثمة أخلاقيات ثابتة توفر الأمان للضعيف والاستقلال في الرأي بل يجب أن تكون تابعاً ومتبوعاً ولولا ذلك ما ضمنت اليابان تماسكها أمام التحديات الخارجية، إنه أشبه ما يكون بنظام هرمي هيرالكي يقف على قمته الإمبراطور ودولته، ثم يقف أسفله الشعب الياباني بأكمله كل حسب رتبته وقوته أو ضعفه.

جذور الفكر والثقافة اليابانية

I. مفهوم كلمة "ثقافة" في المصطلح الشائع⁽¹⁾ (BUNKA)

ارتباط الفكر بالثقافة شيء بديهي في بعض الثقافات التقليدية، فالفكر هو نتاج ثقافي، والثقافة هي نتاج إنساني ترسب على مر العصور ليتحول إلى طريقة حياة وطريقة تفكير في آن واحد. لا يوجد فصل بين الثقافة والفكر في حياة الشعب الياباني، فالثقافة هي مجموعة الأفكار والعقائد والقيم التي يتمسك بها أي شعب في حياته الخاصة والعامة، والثقافة قد تعنى في لغة الشعوب التراث القومي بكل ما يحوى من قوة وضعف وعلم وجهل وتجربة إنسانية وفلسفة حياة. إن اليابان مدينة في حاضرها المعاصر إلى طريقة تفكير القدامى ونظرتهم التقليدية إلى الأشياء ومفاهيمهم نحو الطبيعة والدين والإنسان.

إن البيئة اليابانية الطبيعية هي التي أفرزت طريقة تفكير القدامى وفلسفتهم في الحياة، فالحكمة مستوحاة من تجارب السنين التي تناقلتها الأجيال وحافظت على أسرارها، فالجديد عندهم لا قيمة له دون الرجوع إلى الماضي وربطه بالحاضر، وهنا تكمن الأصالة بمعناها الفريد الممتد عبر العصور، فالشعب الياباني يجد ضالته المنشودة وهويته الروحية في كل ما يربطه بالماضي ولو كانت أساطير وخرافات...

إن فلسفة الشعوب في الحياة قد تختلف من ثقافة إلى أخرى حسبما تمليه عليهم مقتضيات الواقع، فالبيئة اليابانية التي أنجبت هذا الشعب هي بيئة تحكمها ظروف المناخ وتقلباته، وعمل الإنسان هنا في التفاهم والانسجام مع هذا الواقع ولو كان ضد إرادته...

لقد عاش الشعب الياباني في ظل هذه الظروف الطبيعية بكل خيرها وشرها وأثبتت في داخله الرضا بالقضاء وقت الشدائد، والحمد والشكر وقت الرخاء والنعمة، إن كلمة الشكر التي يترجمها الإنسان الياباني في ممارساته اليومية تؤكد بلا شك احترامه لإرادة الله في الأرض

(1) كلمة "ثقافة" في اللغة اليابانية تتألف من مقطعين: الأول BUN ويعنى حرفياً الجملة المكتوبة - الكتابة - العلم - التعليم، والمقطع الثاني KA يعنى تطبيع الكلمة، أو تطويع أو تطبيق العلم - وكلاهما مختصر لعبارة: BUNMEI-KAIKA وتعنى الحضارة والتنوير، والتعليم المستتير والتطور عموماً.

وعدم تمرده أو عصيانه له. إن الطبيعة في نظرهم هي مصدر الاعتقاد والنعم والحياة، فالإنسان ابن الطبيعة ولا يوجد عندهم تصور أبعد من حدود بيتهم، ولا فلسفة تتعدى آفاق سمائهم وبحارهم، فالنظرة الكونية محدودة بحدود اليابان فهم لديهم انتهاء عرقى لأرضهم وجنسهم ولونهم.

II مفهوم كلمة "فكر" في المصطلح الشائع^(١) (SHISO)

تتفاوت وتتباين الثقافات في تحديد مفهوم مصطلح "الفكر" فلكل ثقافة منابع لغوية تحدد المعنى المراد استخدامه، وهذا المعنى قد يختلف من جنس إلى جنس حسب درجات رقى هذا الجنس، ونظرًا لتطور وسائل الاتصال وتبادل المعلومات فقد أصبحت للغة سائدة ولغة محلية ولم يعد هناك أى اهتمام بالتباين الثقافى أو اللغوى نظرًا لهيمنة لغة الإعلام الغربى على العالم بأسره، فأصبح العالم يسمع ويرى ويتكلم طبقًا لمنظومة الفكر الغربى وبالأخص الامريكى، وهذا هو الواقع الحالى دون مواربة أو معارضة.

ونرجع إلى تحديد معنى "فكر" كما يفهمه العالم بداية من العصر الحديث على وجه التحديد، فنجد أن كلمة "فكر" في لغتنا العربية جاءت من "تفكير"، وأن "الفكر" هو اسم تفضيل يعنى صيغة تفضيم وتشريف وبالتالى تعبر كلمة "فكر" عن النظام الفكرى فى أعلى درجاته المرجوة... وأهل "الفكر" هم صفوة الناس وأحكمهم وأرجحهم عقلاً... فإذا أضفنا إلى هذه المعانى الشائعة ما وصفه الله من أهمية العقل واحترام أحكامه، فإن ذلك يزيد من وضوح المعنى ورسوخه. فأولى الألباب هم ذوو العقل والفهم السديد والرؤية الثابتة.

وعلى النقيض لهم البلداء الذين لا يعقلون ويتركون الأمور دون تدبير أو تدبر ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤] ولقد مدح الله هؤلاء الذين يعقلون الأمور ويفهمون المعانى ويتدبرون عواقب الأمور ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٢١] فالله يصف أهل العقل بأنهم ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١] قائلاً فى آية أخرى ﴿إِنَّ فِي

(١) كلمة "فكر" فى اللغة اليابانية تترجم إلى كلمة: "SHISO"، وأحياناً Shiko وكلاهما يعنى نظام التفكير العقلانى، وطريقة فلسفة العقل Risei ولم يكن هناك فاصل بين كلمة "Shiso" وكلمة أخلاق RINRI أو DOTOKU فى ظل قانون الجماعة.

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارَ لآيَاتٍ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿آل عمران: ١٩٠﴾.... فأولى الألباب هم أكثر الناس فكراً وأرجحهم عقلاً وأصفاهم روحاً ونفساً.. وأهل الله، خاصة وهم أهل القرآن الذين يحترمون العقل ويلتمسون الهداية به....

وإذا كانت كلمة "فكر" هي لغة العقل السديد فبالتالي لا بد وأن يتسم هذا الفكر بصفة العقلانية فنجد أن القدماء رأوا أن التفكير سمة العقلاء الحكماء فأرسطو يقول: "أنا أفكر إذا أنا موجود" ولكن للعقل آفات أيضاً فأفة العقل الميل مع الهوى، والهوى هو اختلاط الخرافات بالحقائق والجهل بالعلم دون تمييز أو تفريق، فالعقل السليم هو العقل الذي يرفض الخرافة التي تقيد حركته وتعوق انطلاقه ويحترم المنطق السديد، ولعلها أشد هذه الآفات خطراً، فإذا أحاطت بالعقل خرافات وأساطير باطلة صار العقل أسيراً مكبلاً عاجزاً عن الوصول للحقيقة التي هي بُغية العقل. لكن لا بد لكي يتحرر العقل من كل ما يعوق حركته أن يتم فصل العقل عن الاعتقاد الخرافي أولاً، ثم تحديد القواعد التي يتحتم على العقل التزامها لتحقيق المهمة التي من أجلها خلق... فالعقل هو المصباح المضيء لحركة الإنسان وخطواته، ولولا العقل لتحولت الأرض إلى مستنقع من الدماء، ونور العقل ذاتي منذ أن فطر الله الإنسان على التفكير، فبالعقل يهتدى الإنسان إلى الحقائق المادية ويتسع الإدراك العقلي ليشهد الحقائق غير المرئية من غيبات بطريق الاستدلال أو الاستنباط... ولقد آمن الإنسان حين رأى وفكر واستنتج قبل أن تبدأ الرسائل السماوية، فقصة سيدنا إبراهيم هي خير دليل على صحة العقل في استدلاله، فالعقل هو أداة المعرفة الأولى والذي تعمل معه وتساعد أدوات الحس من بصر وسمع ولمس. ولم يترك الله الإنسان وحيداً في هذه الأرض دون إرشاد، فقد صمم له كونا بديعاً مليئاً بالعجائب التي تدل على صانعها والتي يعجز العقل عن إنكارها، لأنها حاضرة قائمة أمامه وهي بمثابة دلائل على قدرة الخالق وليست إلا شواهد يقف أمامها العقل وقفة إجلال وتقديس وإقرار بعظمة الصانع، ولأن الكون في شكله المادي يستنفذ طاقة العقل بحثاً وتأملاً فإن الوصول لكل الحقائق شبه مستحيل، ولا بد لكي يستنير العقل بكل المعاني أن يستعير المعرفة من باب "العلم" فالعلم هو الغذاء الطبيعي للعقل، ونظراً لأن العلم هو نتاج عمل العقل من جانب، وخلاصة تجارب الآخرين من جانب آخر فوجب على طالب العلم أن يحترم العقل والتفكير العقلاني ولعل من البديهي أن تكون هناك علاقة بين العلم والعقل، فالعلم يقوم على ثوابت وارتكازات عقلانية.

أولها العلاقة بين الأسباب، وثانيها احترام النتائج المترتبة على هذه العلاقة، وثالثها رفض عكس ذلك من احتمالات غير منطقية...

ونظراً لأن بداية العلم التفكير، والتفكير بمعنى التفكير الدقيق المنظم فإن هذه الخطوة تعد أساساً لكل نظرية علمية، والفكر إذ لم يتم على أسس عقلانية وقياسات علمية أصبح ضرباً من الخيال والوهم، وإن كان الفكر العقلاني يرفض ذلك فإن تحديد معنى الفكر لا يشترط في معناه كونه فكراً عقلانياً أو فكراً خرافياً، وذلك لأن الفكر في معناه الشامل يعنى طريقة التفكير بغض النظر عن كونها مقبولة عقلاً أو مرفوضة، ولذا وجب التنويه للجانب العقلاني كما صاغه رواد الفكر يرفض ما دون ذلك من أنماط التفكير السائدة في المجتمعات النامية حيث تتفاوت مستويات الفكر حسب مستوى التعليم والفكر البشري، وبالتالي تتفاوت درجات التحضر بين الدول على حسب التفاوت في مستويات الفكر بين الشعوب. ونظراً لأهمية العلم في رفع مستوى فكر الشعوب، فإن التقدم في مجالات العلم المختلفة يسهم بقدر كبير في ترقية فكر الشعوب وصقل مواهبه ولاسيما إذا ارتبط العلم بالحياة وانتظمت هذه الحياة بنور العلم.

III. طبيعة الثقافة اليابانية (NIHON BUNKA NO SEISHITSU)

إن اليابانيين قد امتلكوا تاريخاً وتقاليد ضاربة في القدم، في ذات الوقت أبدعوا نماذج ثقافية فريدة لا تزال حية إلى الآن. ترى أى نوع من الفكر كان يمتلكه هذا الشعب؟ وكيف كانوا يجيئون به؟

في هذا الفصل سوف نلقى نظرة شاملة على خصائص الفكر والثقافة اليابانية. من خلال التعرف على البيئة الطبيعية التي شكلت الأساس الذي أنبت هذه الثقافة، ويعد ذلك نتناول التركيبة الثقافية المعبرة عن خصوصيات الثقافة اليابانية. إلى جانب ذلك مفهوم الطبيعة عند اليابانيين ومدى ارتباطها بالدين.

أ - الأرض اليابانية (FOUDO)

إن كلمة (فودوا) تعنى الخصائص الطبيعية، من مناخ وتضاريس وتربة وكائنات حية ونباتات. ثم أثر ذلك على طريقة تفكير ونمط الحياة اليومية للإنسان الياباني الذي اندمج واتحد معها.

إن أغلب الأرض اليابانية تنتمي إلى التقسيم المناخي الموسمي الدافئ، وبسبب الدفء

فكمية الأمطار غزيرة، وغنية بتغير المواسم. خاصة في الصيف حيث الدفء العالى والكثير وارتفاع درجة الحرارة بشكل ملحوظ وزائد. فإن ذلك يكون مناسباً لزراعة الأرض في الحقول الغارقة في الماء. وعليه فقد تطورت ثقافة الحياة المتمركزة حول صناعة الأرز، كذلك فإن تعدد المواسم بشكل واضح جعل الأعياد المرتبطة بالمحاصيل متنوعة بتنوع الزراعة مما أعطى حياة الناس لونا، ونبتت حساسية - عند الانتقال من موسم إلى آخر.

على هذه الوتيرة فإننا نجد الطبيعة في اليابان تبدى شكلا مخيفا في وقت الأعاصير والفيضانات، ولكن على أى حال فهى تمتلئ بالخير والنعم وبسبب الدفء فإن اليابانيين يتقبلون عمل الطبيعة وأفعالها - (يتعايشون وينسجمون مع الطبيعة) وطوروا طريقة حياتهم في منظومة متوافقة مع حركة الطبيعة.

لم ينظر اليابانيون إلى الطبيعة على أنها شيء يمكن أن يصطدم مع حياة الإنسان ، بل حاولوا أن يجدوا ضالتهم في الاستمتاع بكل ما تجود به من خيارات ونعم. إن هذا الفكر الفريد الذى تحلى به اليابانيون جعل هناك اتجاهها لجعل الذات من داخلها وخارجها، أو قل عالم الباطن وعالم الظاهر شيئاً واحداً لا يتجزأ. ونلاحظ كذلك أن هناك اتجاهها لاحترام النظرة الكلية للأشياء عن النظرة الجزئية الضيقة.

ب - التراكمات الثقافية (BUNKANO-JUSOSEI)

اليابان دولة جزرية تقع وسط البحار على الحافة الشرقية للقارة الآسيو أوروبية. وهى تقع عند منتهى الحضارات التى امتدت نحو الشرق. في هذا المكان كان من السهل بقاء الثقافات القديمة، ولكنها بقيت وتراكت على مر العصور دون أن تفقد خصوصياتها ويطلق على هذه الخاصية اسم (خاصية تراكم الثقافات)، وتعتبر هذه إحدى سمات الثقافة اليابانية. فإذا أخذنا مثلا الديانة، نجد أن الشنتوية التى لها جذور ضاربة في العصور السحيقة، وغيرها مثل البوذية التى انتشرت في العصور القديمة والوسيطه، إلى جانب المسيحية التى دخلت في العصر الحديث، قد تعايشت معا في اليابان. ليس فقط في مفهوم الاعتقاد بل نجد أيضا الفنون والعادات الاجتماعية ونمط الحياة وغيرها.

وفي كل الجوانب المختلفة للثقافة نجد هذه الخاصية في الثقافة اليابانية. إن خاصية التراكم الثقافى ترجع إلى أنه في الوقت الذى كانت اليابان تقبل الثقافة الواردة من الخارج بإيجابية كانت تذوب وتعايش مع الثقافات السابقة عليها.

نجد كذلك أن اليابانيين من القدم كانوا متسامحين نوعاً ما تجاه كل الآراء والأفكار الواردة من الخارج.

فإذا أخذنا مثلاً واضحاً نجد أنه عند إدخال البوذية لم يحدث تصادم عقائدي بينها وبين العقائد الموجودة قبلها مثلما حدث في تاريخ أوروبا من اضطهاد ديني فظيع أو صراعات وحروب بين الشرعية والمخالفين، أيضاً فقد انسجمت البوذية واتحدت مع العقائد السابقة لها، وأنجبت فكراً وعقيدة مركبة من الشنتوية والبوذية وهذا يعكس فلسفة اليابان الأخلاقية من القدم. وإن مثل هذه الخصوصية قد تكررت أيضاً عند إدخال الفكر الغربي الحديث. ففى الوقت الذى أدخلت اليابان الثقافة والعلوم الغربية فى عصر ميغى (١٨٦٨) بشكل واسع فإنها قد حافظت جيداً على التقاليد الروحية لليابان حتى ليقال إن اليابان من أكثر البلدان فى العالم التى تجمع كل من فكر الشرق والغرب. إن هذه النقطة تعد إحدى مميزات الفكر والثقافة اليابانية.

IV الفلسفة الروحية لليابانيين

أ - الدين والطبيعة

إن نظرة اليابانيين للطبيعة لاتزال كما هى مرتبطة بالاعتقاد، كما أصبحت هى نفس نظرتهم للإنسان، وأصبح لكل منها علاقة متداخلة ومتبادلة. فيما يتعلق بالفكر الياباني القديم قبل دخول البوذية والكونفوشيوسية فإننا يمكن تصوره من خلال الموروثات التى نقلت فى كتاب (الكوجيكى) و (النيهون شوكى) وغيرها.

وكما هو الحال فى كثير من المجتمعات البدائية فى العالم فإن اليابانيين كانوا يعتقدون فى وجود أرواح مقدسة تكمن فى ظواهر الطبيعة ابتداء بالشمس والقمر ثم البحر والجبل والنهر والأشجار والأحجار الكبيرة والحيوانات وغيرها من الأشياء غير العادية التى تبدو غريبة أو ذات قوة كانوا يخشونها ويعتقدون أنه تكمن فيها أرواح علوية. إن أصل المعابد (جنحا) كانت عبارة عن أراض مقدسة طبيعية تسكنها قوى روحية وخارقة يمكن أن تنفع أو تضر. مثل هذه القوى الروحية الطبيعية، جسدت تدريجياً لتأخذ شكل إنسان أسطوري مثل أسماء الأجداد والآلهة الحامية لها فى مجتمعات النبلاء فى عصر كوفون الذى جاء بعد ذلك.

إن معابد الأوكامى فى محافظة نارا يعتبر مجمع الآلهة فى جبل ميوا. إننا يمكن أن نرى فى

حرم المعبد الأشجار والأحجار الكبيرة الملقوفة بالحبال لكن تلك الأشياء عبارة عن مظهر متبقى إلى الآن ويعبر عن طبيعة الاعتقاد عند القدماء.

إن اليابانيين لديهم إحساس بالخوف تجاه بعض عناصر الطبيعة المختلفة ويعتقدون بوجود أرواح تكمن فيها وبالتالي يعبدونها ولا ينكرونها.

ب - الطبيعة والحياة

إن الشنتوية كديانة قومية قد تطورت من إحساس ديني بدائي يدور حول عبادة الطبيعة إلى أن أخذت شكلها كديانة بعد أن دخلت البوذية إلى اليابان كديانة عالمية متطورة.

إن الآلهة التي كانت مصدر خوف ورعب في بدايتها أصبحت مألوفة بالنسبة للإنسان (وأصبح من المعتقد أنه) طالما أن الإنسان إذا ما احتفل وأقام الشعائر لتلك الآلهة فإنها ستتجاوب معه، وأصبحت تقام لها الاحتفالات الدينية في المعابد. فوق ذلك فقد أصبح من المعتقد أن آلهة الطبيعة في الأصل هي نفس الآلهة القبلية البشرية.

ما إن انتقلت البوذية حتى انتظمت العقائد اليابانية القديمة في المنظومة الكبرى للتعالم البوذية ويعتقد أن فكرة الإله بوذا في الديانة البوذية وطريق المعرفة ظهرت وأخذت شكلا يتفق مع العرف الياباني وطبيعة الاعتقاد اليابانية. ويطلق عليها اسم (هونجي سويكي)، فمثلا الإله الأعظم لليابانيين. (اماتيراسا) قد تقمص شكل الإله بوذا (نيوراى) وغيرها، وتعنى كلمة (هونجي) بوذا في شكل معين وتعنى كلمة (سويكي) تقمص شكله.

هذا الفكر المندمج للشنتوية والبوذية يعد الأساس للعقائد للديانات اليابانية التقليدية حتى ما قبل العصر الحديث.

إن الإله العظيم (اماتيراسا) قد جسد إله الشمس. أما الإله بوذا (نيوراى) فإنه يعد أصل بداية العالم، وكما هو متوقع فإنه تجسد كإله للشمس، ومن العصور الوسطى نجد أن طريق الآلهة (تندو) كانت تعنى الإله المتربع على السماء والأرض وهى بالمثل تعنى الشمس. وأخذ الناس يتعبدونه كإله للسماء، لأن الشمس هى مصدر كل الحياة الطبيعية، وهذه فى ذاتها حياة لا يستهان بها.

إن محور الأديان اليابانية التقليدية كانت فى توجيه الإيمان نحو مظاهر الطبيعة. بعد أن تطورت فنون المعرفة الحديثة بدأت طريقة التفكير الحديثة تتحول إلى غزو

الطبيعة واستغلالها مما أصبحت تهدد حياة البشر، يبدو أننا بحاجة إلى أن نقدر فضل الطبيعة وأن نبعث الحياة من جديد في قلوب القدماء.

V - مدخل إلى الفكر الياباني الحديث

لا توجد دراسة شاملة عن التاريخ الفكري للأمة اليابانية، وهي حقيقة في ذاتها دالة على الضلالة التاريخية نسبياً التي عمل على موضوعها اليابانيون، وبطريقة أخرى لا يوجد مجرى واحد للفكر ممكن أن يخدم كإطار مرجعي لتحديد العلاقة المتشابكة بين الفلسفات والأفكار لكل العصور التاريخية لليابان وبالتالي تحديد الموضوع النسبي لكل الآراء الأيديولوجية. إن فترة ما قبل الحداثة وما بعدها قد التقت معا في موضع يثير الفضول في اليابان لتشكيل العصر الحديث إلى عناصر من البوذية والكونفوشيوسية والشامانية والفكر الغربي كلها تعيش معا تحت سقف واحد، لأن الفكر التقليدي ممثلاً في الخط الأصلي للموروث الفكري للأمة لم يتأثر من ذاته بل كان مستجيباً لتأثير خارجي على الدوام.

١ - الفكر الياباني الحديث

(١) إدخال الفكر الغربي

نتيجة إصلاح مييجي تنكرت اليابان للنظام الإقطاعي، وخطت أولى خطواتها نحو المدنية الحديثة. حيث قامت حكومة مييجي (١٨٦٨) بإدخال العلوم والتقنيات الحديثة من جميع الدول الأوروبية المتقدمة بشكل فعال، وأثناء ذلك استوردت الفكر الفلسفي الحديث. حيث كرس فوكوزاوا يوكيتشي وناكاى تشومن جهودهما لنقد الفكر الإقطاعي وإظهار مساوئه وإبراز خصائص الفكر الغربي الحديث.

(٢) ازدواجية الفكر الياباني الحديث

اتسم الفكر الياباني الحديث بالازدواجية الحتمية التي فرضها الواقع الدولي على منطقة جنوب شرق آسيا، والتزمت اليابان بهذه المعايير صوناً لاستقلالها وحماية لوجودها، فلقد تعاملت اليابان مع الواقع، وجعلت لغة الخطاب السياسي تتسم بالمرونة في حين أبت بقايا نظام القيم القديمة في المؤخرة، فنظام الحكم الإمبراطوري ظل على هيئته وانقسمت اليابان إلى نظام دولة ونظام إمبراطوري كلاهما يسيران جنباً إلى جنب لخدمة قضية اليابان الحديثة. ولقد أكدت الأحداث السياسية المتتالية أهمية هذه الازدواجية في التعامل مع العالم الخارجي، فالقديم والحديث أشبه بالعقل والقلب، فالعقل هو الذي يتعامل مع العالم المتحرك أما القلب

فهو البقاء في أحضان الماضي بكل معانيه وقيمه الراسخة، ولقد نجحت اليابان في لفت أنظار العالم الخارجي إلى شخصيتها الفريدة مما جعلها محل إعجاب وتقدير في آن واحد، وكان لهذه المرونة أثرها في سرعة استيعاب اليابان لمتطلبات العصر الحديث وانتظمت في سلم الدول الناهضة دون اصطدام فكري أو عقائدي مع الغرب

إن من العجيب أن تتخطى اليابان كل الحواجز العقائدية التي تفصلها عن الغرب نتيجة المرونة الهائلة في القضايا الحساسة، ولكن هذه المرونة في الشخصية اليابانية جعلتها محل نقد متزايد من الغرب الذي لا يفهم السر في الصمت الذي يديه اليابانيون عند اصطدامهم بالعقل الأوروبي، هل هو تواضع؟ أم حياء؟ أم عجز وشعور بالدونية تجاه الغرب؟ الحقيقة أن طبيعة الشخصية اليابانية طبقاً لمعايير الفكر الغربي تبدو سلبية وغير قوية إذا ما تعرضت لنقد أو تحدٍ من نوع ما..

فالصمت أفضل الوسائل عند العجز عن الفهم أو الرد. وقد يبدو ذلك مريحاً من جانب طرف وغير مريح للطرف الآخر، فالرد بالشكل القاطع غير وارد طبقاً للأخلاق اليابانية، وبالتالي فإن الحوار الصريح الذي هو أحد مفاتيح اللغة الدولية يبدو صعباً في المتدييات الفكرية اليابانية.

(٢) رواد الفكر الحضاري الحديث

(١) فوكوزاوا يوكيتشي (١٨٣٥-١٩٠١)

♣ مولده وحياته

ولد فوكوزاوا يوكيتشي في أسرة سامورائية، من طبقة فقيرة تنتمي إلى محافظة أويتا (مقاطعة ناكتسو)، ولقد ورد عنه أن ما آلت إليه حياة والده من نهاية غير سعيدة قد زاد من إصراره على رفض النظام الإقطاعي الطبقي مؤكداً أنه رغم أن الحضارة الغربية تنادي بالحرية والمساواة وأنه لا فرق بين إنسان وإنسان إلا بالعلم والعمل. فإنه يوجد أناس أذكيا وأغنيا وأغنيا، وفقراء في الواقع^(١) فما هو السر في ذلك؟

إن ذلك يتوقف على ما إذا كان هناك علم من عدمه، لذلك فإن على كل إنسان أن يسعى

(١) إن الإسلام أول من نادى بالمساواة بين البشر فالرسول (ﷺ) أول من خاطب البشرية قائلاً: "كلكم لأدم وأدم من تراب وليس لعربي فضل على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم". ومن المأثورات التي وردت عن الخليفة العادل عمر بن الخطاب: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً".

ليستزيد من علمه من خلال تعلمه العلوم العملية التي تستخدم في الحياة اليومية كذلك فإن هذا يتوقف على احترام الإنسان لذاته واستقلاله Dokuritso Shin، هذه هي إحدى الكلمات التي كان يفضلها فوكوزاوا. ليس فقط احترام واستقلالية الفرد وطريقة الحياة الفردية الحديثة، ولكن أيضاً إذا أرادت اليابان ان تواكب القوى الغربية القوية فعلها بالسعي نحو الاستقلال الحر، ليس فقط على مستوى الفرد ولكن أيضاً على مستوى الأمة، هكذا يقول فوكوزاوا. ويستطرد قائلاً: إن الإنسان الذي ليس له عزيمة قوية لا يستطيع أن يفكر في بلده بعمق ومن السهل أن يقع فريسة للأجانب. فيبدأ باستقلال الفرد ثم استقلال الوطن علاوة على ذلك اعتبر فوكوزاوا أن الحضارة تقوم على إيقاظ روح أغلبية الشعب، وتقدم الفكر من أجل ذلك فكان من الضروري أن تطور النظام الاجتماعي والعلوم والأعمال التجارية والصناعية.

ويلاحظ أن فكر فوكوزاوا يقوم على جانبيين أحدهما الحرية التي تقوم على احترام الفرد، والآخر الوطنية التي تدعو إلى استقلال الدولة. وهذا هو الاتجاه السائد بالنسبة للمفكرين الجدد في عصر ميجي.

ويعد فوكوزاوا واحداً من طليعة الشخصيات البارزة الذين ساهموا بطريقة فعالة في حركة التجديد القوي التي ظهرت في اليابان في تلك الفترة.

• مؤلفاته:

أصبحت مؤلفاته (أحوال الغرب ١٨٦٦) و(تشجيع المعرفة ١٨٧٦) من الكتب الأكثر رواجاً بعد ما قامت بالتأثير إلى حد بعيد على المجتمع الياباني في ذلك الحين، ويعد كتابه (ملخص نظرية الحضارة ١٨٧٥) من أهم المؤلفات التي تلخص معاناته فلسفياً وثقافياً خلال عمله الطويل كمعلم ومفكر وصحفي، والتي تعكس، وبصفه خاصة، المناخ الفكري الذي نشأ نتيجة حركة الحضارة والتنوير) المتمثلة في حركة التجديد الفكري في العقد السابع من القرن التاسع عشر.

ونظراً لترجمة هذا الكتاب المهم، الذي يتعلق بتاريخ الفكر في عصر (ميجي)، فقد أضفنا مقدمه تحليلية للنص بقلم المؤرخ الياباني الشهير (تسودا سوكيتشي)، والذي كتب في عام ١٩٥١ هذه المقولة:

" إن أفكار فوكوزاوا لم تسبق عصرها فقط، بل مازالت تحتفظ بكل سيطرتها كاملة، حتى أنها أصبحت تشمل أفكاراً وثيقة الصلة بعالمنا الحاضر."

• كتاب "ملخص نظرية الحضارة" (BUMMEIRON NO GAIRYAKU)

في الفصل الأول يؤكد الأستاذ/ فوكوزاوا يوكوشي على وجوب تأسيس قاعدة للجدل في أى موضوع. لأن اليابان في عصر ميجي قد وصلت لمفترق طرق، ويجب أن تختار بين البدائل فإما التقدم نحو الحضارة الحديثة وإما السقوط تحت براثن البربرية. لقد بات وضع أساس للحضارة اليابانية أمراً حتمياً. ويتساءل: هل يمكن أن يصبح ذلك هو الاختيار الممكن تطبيقه؟

لقد أكد اقتناعه بأن الغرب - على النقيض مع اليابان - قد تطور تدريجياً وطبيعياً مع المرحلة التاريخية للحضارة. وأن الهدف المبدئي لليابان كى تلحق بالحضارة الحديثة هو التعلم من الغرب.

ومرة ثانية يتساءل: بما أن الحضارة تضم كلاً من الروح الداخلية والشكل الخارجي الشكل والمضمون - فإن الأولوية يجب أن تعطى للروح.

لأن تقدم الحضارة يتحقق بأخلاق القوى الداخلية للعقل والجسد. خاصة روح الإنسان آخذين في الاعتبار العلاقة بين الإعزاز القومى والحضارة الغربية.

قال فوكوزاوا: إن المبدأ الأساسى هو القومية، وفي المصطلح السياسى فإن ذلك يتصل بالاستقلال السياسى. لقد أكد على ضرورة اقتفاء روح الحضارة الغربية للمحافظة على هبة اليابان وسيادتها.

(٢) ناكنى تشومين (١٨٣٧ - ١٩١٩)

أصله من أسرة سامورائية فقيرة من محافظة توسا (كوتشى الآن) سافر في البداية إلى فرنسا في بعثة دراسية، وقام بترجمة كتاب روسو "مبحث العقد الاجتماعى" وكان له تأثير فكري على حركة الحقوق المدنية الحرة التى ابتدئت بإتاجاكى تايسوكيه وقال في كتابه "ثلاثة حوارات" إن الأساس لقوة وغنى القوى الغربية يرجع إلى مبدأ الحرية، وأن الحرية هناك مصنونة.

يقول: إن قضية الحرية تكون كاملة بعد أن يتم تحقيق المساواة. إن الناس كلهم لهم نفس الحقوق إلى جانب أنه يجب أن يكونوا متساوين في كم هذه الحقوق. كان تشومين يتطلع إلى تأسيس قواعد الحقوق المدنية، ولم يكن فقط يعمل على استيراد الفكر الغربى مباشرة. يضيف قائلاً: إن السياسيين لا يجب أن ينكروا رغبة الجماهير - الشعوب، ويجب أن

يجلبوا أسباب الرفاهية والسعادة الكافية لهم، وتحقيق مستوى من المعرفة مناسب في نفس الوقت فإن القوة العسكرية للقوى الغربية كانت تشكل تهديدا كبيرا لبلد صغير مثل اليابان. ومع ذلك نادى بأنه يجب أن تتخير اليابان موقفا يعتمد على القانون الدولي لا على القوة العضلية.

المجتمع الياباني

لم تحظ ثقافة أو مجتمع في العالم بمثل ما حظيت به الثقافة والمجتمع الياباني من اهتمام، ولا يقف هذا الإجماع عند حد معين بل امتد إلى كل ما هو قديم وحديث، حتى طريقة الأكل والملبس والطهى فما هو سر هذا الاهتمام؟ ولماذا ظلت اليابان طيلة تاريخها أشبه باللغز المحير أمام الناظرين الأجانب؟ سأحاول أن أكشف هذا اللغز من خلال ما هو مكتوب عن تلك الثقافة والمجتمع والفكر الياباني.

كثيرا ما يقال إن المجتمع الياباني هو مجتمع متميز وفريد من نوعه، فما هو السر في ذلك؟ تقول عالمة الاجتماع اليابانية "نكانيه تشيه"^(١) في كتابها "العلاقات الإنسانية في المجتمع الرأسي" ١٩٦٧

يختلف المجتمع الياباني عن المجتمع الهندي في أن الإحساس نحو الجماعة عند اليابانيين أقوى منها عند الهنود، فالمجتمع الياباني يؤكد على الإطار (Frame)، بينما يؤكد المجتمع الهندي على الميزة أو الخصوصية الطبقية (attribute) والتي تظهره الطبقة التي ينتمى إليها، ومن هنا يهتم الشعب الياباني بالإطار الجماعي والتنظيمي، وبالتالي فإن الانتماء لهذا المكان هو من أساسيات الترابط بين الأفراد، وبالتالي التأخى في هذه العلاقات يتوقف على مدى استمرار هذا الارتباط بالمكان الذي ينتمى إليه، فعلاقات العمل من هذا المدخل تكون أكثر انتظاما وانتماء، فالإنسان الياباني يجد ذاته في المكان الذي يرتبط به سواء أكان عملا يدر منه عائدا أو نقابات يجد فيها الانتماء.

والشعب الياباني يحرص على الانتماء لجماعته التي تربطه بها مصالح أو حتى تربطه بها علاقات تنظيمية أخرى. ومن هنا نجد أن روح المنافسة بين المؤسسات الاقتصادية في اليابان

(١) Nakane Chie Tate Shakai To Ningen Kankei" KODANSHA GENDAI-SHINSHO Press.

ترجع إلى وجود روح الانتماء نحو تلك المؤسسات وبالتالي فإن روح العمل والفريق تأتي في مقدمة الأولويات التي تسبق أى صراعات... وتنقية الأجواء بسرعة تساعد على الوصول إلى الأهداف المرسومة.. وتلعب التقاليد الأسرية والمجتمعية دورا مهما في تحجيم النزعات الفردية وتسويتها حيث يتعلق الأمر بمصلحة الجماعة التي ينتمى إليها الفرد.

ورغم هذه الروح السائدة بين اليابانيين، فإن ذلك لا يمنع من وجود نوع من المعارضة لنظام المجتمع التقليدي، والذي يهتم بالإخاء والمساواة بين الأفراد وتقوية روح الاندماج والانسجام بين الأفراد وقياداتهم، وبالتالي بث روح الوحدة عن طريق خلق مناسبات عديدة للقاء والترفيه وخلق فرص المناقشات الصريحة ولكن محل ذلك في الإطار الذي يجتمى فيه.

الجماعات الانفصالية في المجتمع الياباني

Buraku- Min

لاشك أن الانتقال والتحول السياسي لليابان من مجتمع الإقطاعيات baku han إلى المجتمع الحديث القائم على المساواة قد ترك وراءه قضايا اجتماعية قديمة دون حل أو معالجة إنسانية، ونخص بذلك الطبقات المهمشة أو المنبوذة في فترة حكم الشوجون أو ما يعرف باسم "العسكرية الإقطاعية" التي حكمت اليابان ما يربو على ٢٨٠ عاما في ظل نظام طبقي يتسم بالصرامة والقسوة والجمود، ذلك النظام كان يقسم المجتمع الياباني إلى أربع طبقات رئيسية هي: الساموراي؛ النجار؛ المهنيون؛ ثم الفلاحون. وكانت مادون ذلك من عناصر يرمز إليها باسم "المرفوضين أو المنبوذين" (BURAKU) وكانوا عادة ما يعيشون على فترات الآخرين ويمارسون المهن الحظيرة وغير الجديرة بالاحترام، ولما كانت تلك سمة العصور الإقطاعية غالبا فإن المجتمع الياباني لم يلمس تحسنا في أحوال تلك الجماعات المرفوضة اجتماعيا والتي شكلت جماعات انفصالية عن المجتمع الياباني لها نظمها وأعرافها الخاصة وأصبحت الحكومة تتعامل معهم كما لو كانوا خارجين على القانون حتى وإن كانوا ممن يملكون حق المواطنة. فالطبيعة الإنسانية لليابانيين ترفض العناصر الغربية أو غير المتجانسة مع المجموع، ونظرا لأن تلك الجماعات تضم بين أفرادها عناصر غير يابانية ممن ينتمون إلى أصول أسيوية سواء كانت كورية أو صينية، فإن الإحساس بالرفض لهم ازداد سوءا نظرا لهذا التباين العرقي، ولقد ظل هؤلاء القوم في صراع مع المجتمع الياباني على فترات طويلة من التاريخ حتى ذابوا في المجتمع الياباني وأصبح لهم كيانا مستقلا وجمعيات تدافع عن حقوقهم السياسية والاجتماعية، ويهمنى في هذا الموضوع أن أسلط الضوء على التاريخ الاستيطاني لتلك الجماعات ودورهم في المجتمع الياباني ووضعهم القانوني والسياسي ثم أثر ذلك في الأدب الياباني، خاصة أعمال شيبازاكي توسون التي تناولها في روايته هاكاي (Hakai).

فضيلة الحياء عند اليابانيين

دراسة سيكولوجية حول مفهوم القيم عند اليابانيين

الحياء شعبة من شعب الإيمان - هكذا أخبرنا المصطفى صلى الله عليه وسلم فلولا الحياء ما حرمتنا حراماً ولا حللنا حلالاً. فإذا كان الحياء هو الإحساس بالرفض لكل ما هو مكروه، والقبول لكل ما هو مستحسن، فلاشك أن الأمر قد يتعدى هذا المعنى ليشمل كل ما هو جميل ومستحب بفعل الاستحياء، ولولا فضل هذه الصفة ما استوجب المشرع وضعها في مصاف شعب الإيمان وجعل الإحساس بالحياء أهم من إسداء النصح للتنبيه إلى الخطأ والصواب حينما رأى النبي رجلاً يعظ أخاه فقال له : دعه فالحياء من الإيمان.

ومن هذه المقدمة أكتفى بهذا التعريف المبسط لأقدم شريعة الحياء عند اليابانيين من خلال منظومة القيم الجمالية والأخلاقية التي يتصف بها هذا الشعب.

مفهوم الحياء عند اليابانيين

١ - الحياء شريعة حياة ومنهج عمل :

لاشك أن الأمة اليابانية تختلف عن سائر الأمم الآسيوية بهذا الخلق الرفيع الذي جعلها مضرب الأمثال في السمو والتسامي والاحترام والطاعة وعدم الخروج عن المألوف. ولأن الحياة يعد أعلى فضيلة عند اليابانيين وعليه تدور سائر العلاقات الاجتماعية بل والسياسية والاقتصادية فقد سادت المجتمع روح من السلام الاجتماعي والاستسلام الإيماني لكل ما هو مقدر بفعل هذا الحياء. ولو أن المعارضين من ذوى الاتجاهات الغربية قد يتسوا من فهم هذا الرضوخ الغريب لهذا الشعب لأوامر قاداته، والطاعة السلبية لكل ما هو صواب أو خطأ دون أن يعملوا عقلهم لفهم فضيلة الحياء عند هذا الشعب. ولقد واكبت هذه الفضيلة كل مراحل الصعود والهبوط عبر تاريخهم المتصل والمملوء بالكفاح من أجل البقاء، والتميز القومي مما جعلهم مضرب الأمثال في النجاح في أوقات السلم والحرب. وقد لا يفهم الغربيون على وجه الخصوص قيمة الحياء عند اليابانيين وبيالغون في إلقاء اللوم على هذه الأمة لأنها تؤمن بالحياء أكثر من إيمانها بعدم الإصغاء.

إن الأمة اليابانية لا تجدد في الجدل قيمة أو مضمون لأنها تستحي من خدش حياء الآخرين وبالتالي خدش مشاعرهم وتعكير صفو علاقتهم القومية. إن من لا يفهم حركة

العلاقات الجماعية عند اليابانيين لا يمكن أن يفسر سر تقاعس اليابانيين عن مناقشة ومجادلة بعضهم البعض، أو سر رفضهم الدخول في جولات سفسطائية عن مفاهيم وقضايا شائكة حول الوجود والكون والإله. ولو أن هذه الأمة آمنت بالبحث عن تلك الحقائق أو استشعرت الخطر من عدم وجود معرفة ضرورية لما توانت عن البحث في تلك الموضوعات، بل الأجدر بالأهمية عندهم هو البقاء على الود والسلام الاجتماعي دون المخاطرة بقيمة هذه العلاقات تحت ضغط فضيلة الاستحياء والخجل.

إن الأمة اليابانية لهي جديرة بأن توصف بأنها قاومت كل أصناف المعارك لأنها وضعت تحت محتل قوى اغتصب ذاتهم من الداخل ألا وهو الحياء والخوف من النقد أو الاستهجان من الآخرين. إنه الخجل أو الخوف الذي ينجم عن هذا الشعور القهري الذي يحكم عقلية كل ياباني حينما يفكر في فعل شيء أو عدم فعله ولو أنه وضعت إطاراً للقيم اليابانية التي تحرك عقيدة كل ياباني نحو العمل والإنجاز لوضعت قيمة الحياء على رأس تلك القيم الجمالية والأخلاقية.

٢ - الحياء هو الخوف من نقد الآخرين

إذا كان الحياء هو الإحساس بالخوف من نقد الآخرين وبالتالي تجنب الدخول في مواجهة أخلاقية قد تؤدي إلى فقد مميزات بعينها، أو فوائد وقتية إذا لم نراع هذا الإحساس، فإن المتعارف عليه عند اليابانيين بصفة عامة هو الانسجام والتآلف مع كل ما هو من شأنه أن يسبب نوعاً من اللوم أو النقد لشخص أو مجموعة من الأشخاص، وبالتالي إبداء المرونة تجاه أي أوامر أو عقائد أو ضغوط دون مناقشة أو مقاومة، ويُعد هذا اللون من التعامل أكثر واقعية وأخلاقياً وجمالياً للغالبية العظمى من اليابانيين. ولو أنني لا أعني أن هذا الإحساس يلغى رغبة البعض في نقد الظلم أو رفض الإهانة في بعض القضايا، فإن القاعدة لا يمكن أن تحرم أو تمنع وجود استثناء لدى القلة الواعية في بعض الظروف والأحيان. لكن الأكثرية تؤمن بما تقوله القيادات ولا يجدون فيه جرماً أو خروجاً على القيم الأخلاقية، بل الطاعة واحترام الأوامر والعرف من أوجب القيم الجمالية والأخلاقية وهي التي تبعث على الانسجام الجماعي والأخلاقى. إن الأمة اليابانية تؤمن بالانسجام أكثر من الشقاق وتكره الخروج على المألوف حتى لا تتعرض للعقاب الجماعي وبالتالي فإن مناقشة القضايا تبدو أحياناً شأناً من شؤون النخبة السياسية والاقتصادية والثقافية، وبالتالي فإن على الرعية

الإصغاء والطاعة طالما أننا قد آمنّا بقياداتنا وأسلمنا لهم القيادة. وبالتالي فإن الثمن الفادح هو الذي تتحمله الجماعة ولا تتحمله القيادة لأن مفهوم الثواب والعقاب هو مفهوم جماعي وليس فردي وبالتالي تنعدم المسؤولية الفردية عند حدوث كارثة ويصبح على الجميع دين يجب دفعه وواجب يجب تحمله دون شكوى أو تبرم.

٣ - الحياء هو الشعور بعرفان الجميل تجاه الوطن

لاشك أنه حينما يصطحب الحياء أى عقيدة أو فكر إنسانى نحو فعل شىء ضرورى لحياة أى أمة فلا بد وأن يسهم بقدر فعال لتحقيق أى هدف قومى أو أخلاقى. إن الحياء هو القوة الدافعة للعمل والإنجاز، حينما يُوظف التوظيف الأمثل فيتحول إلى طاقة جبارة تخلق الحياة من العدم والروح من الفناء، إن أروع مثال على ديناميكية هذه الفضيلة في قضايا اليابان القومية هو ما ساهمت به في تحويل اليابان من دولة زراعية فقيرة إلى قلعة صناعية لا مثيل لها في العالم. إن الدافع للعمل هو الإحساس بالواجب الناجم عن الخجل من نظرة الآخرين. إن الإنسان الذي يعيش في إطار جماعة لا بد وأن تحكم هذه الجماعة قيم نفعية أو مادية. إن أغلب اليابانيين الذين ضحوا بأرواحهم من أجل اليابان في ميادين القتال كان تربطهم مشاعر الخجل من أن يقصروا في حق أمتهم، وبالتالي إمبراطورهم المؤله وساستهم المحبوبين. إن الإحساس بالتقصير يوجب الخجل وتأنيب الذات الذي لا يمكن أن يتحرك إلا بالاستحياء من الآخرين الذين لا بد وأنهم يتوقعون التضحية والعمل من أجل الآخرين. إن الحياء هو سوط مسلط على كل عاطل لا يؤمن بروح الجماعة ومصصلحة الأمة. إن شعار "من أجل الإمبراطور" ظل يخدم حروب اليابان التوسعية فترة طويلة من الزمن طالت أجيال متعاقبة دون أن يقل ذلك من إرادتهم شيئاً. إن الحياء حينما يتحول إلى إيمان بالواجب تجاه رموز الأمة، وبالتالي الإحساس بالمسؤولية تجاه أى هدف قومى يجعل تحقيق المستحيل ممكناً.

إن البنية المنتخبة للأمة اليابانية لا تملك فكراً مختلفاً عن قادتهم وبالتالي لا يمكن أن تنحى منحى مختلفاً بل كلهم على قلب رجل واحد، ومن غشنا فليس منا. ولذا وجبت الطاعة والامتثال للأوامر دون اعتراض، حتى ولو كان الأمر مرفوضاً ضميرياً. إن الإحساس بالخوف من عدم الامتثال هو الذي يوصف بأنه عدم الحياء، وليس خوفاً من الوقوع تحت حكم عصيان الأوامر كما هو الحال في الجيش.

إن مقاومة التعليمات هي نوع من عدم الحياء، وبالتالي فإن الإصغاء والامتثال هو دليل الحياء واحترام إرادة الجميع.

٤ - الحياء هو احترام قانون الجماعة

لا شك أن قانون الجماعة في اليابان هو أقرب للقانون غير المسطر في الكتب، إنه قانون له لغة مختلفة عن لغة العقل والمنطق، إنه قانون ظل يعمل من مئات السنين حتى ترسخ في وجدانهم فبات نوعاً من العرف بحلوه ومره لا يختلف عليه اثنان، لأنه مسطور في القلوب، ولأن القانون تحكمه موازين القوة والضعف وموازن البقاء أو الطرد فإن عقوبة الطرد عند اليابانيين Nakama-Hazure هي من أشد أنواع العقاب للفرد المُعترض "فالمعترض منطرد" وبالتالي لا مكان له في شريعتهم، وعليه أن يختار بين البقاء منبوذاً أو الهجرة إلى مكان آخر.

إن التعامل مع الجماعة يحتاج إلى نوع من الذكاء الاجتماعي الذي يكون فيه البقاء للأقوى وبالتالي لا يمكن للفرد أن يكون قوياً إلا بمساندة الآخرين تحت مسمى "المصلحة" أو مسمى "الحياء" ربما لا توجد هناك مصلحة مباشرة لكن الخوف من نكدهم وغدرهم يكفي لأن يحترس الفرد ويلين أمام طلباتهم ونفوذهم. إنه قانون العاطفة الغشيمة^(١) أو المشاعر المنقلبة وبالتالي لا بد من التعامل معه بلون من الدهاء والمكر والاستسلام المصطنع.

إن عوامل التاريخ والجغرافيا لا يمكن أن تتصلب من هذا القانون الذي تهيأ في ظل ظروف تاريخية وبيئة طبيعية قاسية تطورت فيها اليابان تطورا نادياً لم يلمس شغاف القلوب، حتى أضحت اليابان آلة حديثة ومشاعر قديمة إن هذا الوصف قاله أحد أساتذة التاريخ الياباني الوسيط حينها وصف اليابان بأنها تعمل "بعقل حديث وقلب قديم".

إن اليابان قد أخذت حظها من التطور العلمي وشهدت نهضة مادية لا مثيل لها ولكن يبقى السؤال : لماذا لم تهتم اليابان بنقل الفكر الغربي والعقيدة المسيحية؟

إن الإجابة الوحيدة التي يمكن أن نثق بها هي "الإحساس بالحياء من نقد الآخرين، إن اليابانيين يكرهون بأن يكونوا مُتهمين بالخيانة السياسية أو الأخلاقية أو الدينية. إنهم

(١) العاطفة والواجب هما صفتان متاصلتان في الوجدان الياباني فالواجب والعاطفة متلازمان الواجب تجاه المجتمع تحكمه معايير وجدانية أكثر منها عقلية برجماتية. فالواجب هو قانون الأخلاق المستمد من الانتماء العاطفي للشعب الياباني والذي تحركه فضيلة الحياء تجاه الآخرين، إنه الفطرة السليمة التي تتحكم في سلوك الفرد تجاه الجماعة، ومسئولية الجماعة تجاه الفرد، تعبيرات شائعة في المصطلح الاجتماعي الياباني :

- الطرد من الجماعة : Nakama- Hazure

- الواجب والعاطفة : Giri-To- Ninjon.

يرفضون الخيانة لأن الخيانة ضد الحياء فهم يؤمنون بكل ما هو ياباني مهما كان ضاراً في الخرافة والسخف لأنهم لا يحبون أن يوصفوا بالجن وعدم الانتماء.

فالحياء خلق ياباني أصيل حتمته قوانين الجماعة التي كانت تحكم هذه الأمة من وراء حجاب، فالأمة اليابانية لا تزال تكشف عن فضائلها التي تمسكت بها في الماضي وعلى مر العصور لأنها لا تريد أن تحسر روح البقاء على الود الذي هو ذخر الأمة وضميرها الحي.

روث بيندكت^١ وثقافة الحياء :

لاشك أنه من بين الدارسين والمتعاملين مع الثقافة اليابانية الذين تعمقوا في فهم الذات اليابانية من منظور ثقافي نجد عالمة الأنثروبولوجية الأمريكية روث بيندكت. لقد كتبت كتابها الشهير (Kiku To Katana) السيف وزهرة الأقحوان. وهو كتاب صُنّف ضمن الكتب الغربية الأكاديمية التي تناولت سلوك وطبائع اليابانيين الذين عاشوا فترة ما قبل الحرب اليابانية الأمريكية في جزر هاواي وقامت بعمل دراسة تحليلية شاملة عن علاقة هذا الإحساس الياباني وسلوك اليابانيين تجاه الآخرين، ودوره في رفع كفاءة اليابانيين الأخلاقية والروحية. إن روث بيندكت لم تغادر أمريكا كي تسطر هذا الكتاب بل قامت بدراساتها في أمريكا على جماعات من المهاجرين اليابانيين الذين استفادت من وجودهم آنذاك. ولقد ساهم هذا الكتاب في نشر الوعي لدى الجيش الأمريكي في تعامله مع هذه الثقافة اليابانية وقد اعتبره المفكرون الغربيون من الدراسات المتميزة عن الشعب الياباني وثقافته.

الانتحار على الطريقة اليابانية

بقر البطن Seppoku – الانتحار على الطريقة اليابانية – تعد عادة بقر البطن باستخدام السيف عند اليابانيين (سيبوكو – Seppoku) من العادات التي اشتهرت عن اليابانيين، وهو نوع من التخلص من النفس عند اختلال الاحترام تجاه شخص ما، أو عند الفشل في إنجاز مهمة عسكرية وبالتالي خيانة العهد أو عدم الوفاء بالوعد الذي أخذه على نفسه وبالتالي يفقد ماء وجهه أمام رؤسائه وثقتهم فيه.. ونظراً لأن تلك العادات تحتاج إلى تفسير تاريخي لفلسفة القيم والمثل عند اليابانيين، خاصة أن التاريخ الحديث لليابانيين يحمل في طياته كثيراً من القيم

(١) روث بيندكت ولدت في عام ١٨٨٧ في نيويورك ، وأهم مؤلفاتها :
-The chrysanthemum and the sword- Patterns of Japanese Culture (1946).
- Race : Scince and Politics, (1940).

المتوارثة والتي تعد بحق من أهم المبادئ التي يجدر الإشارة إليها، ومن أهم تلك المبادئ "التضحية بالنفس"، ولأن وراء ذلك منظومة من القيم تتفاوت في معناها حسب طبيعة العمل وفلسفة الحياة فإن إيضاح ذلك وربطه بقضايا اليابان المحلية والإقليمية هو من المهم.

خلفية تاريخية :

إن تاريخ اليابان الوسيط شهد كثيرا من الصراعات العشائرية حول مناطق النفوذ والسيطرة، خاصة عشيرتي الجنجي والهيكي، ونظرا لأن تلك العشائر استوطنت في مناطق قريبة من مركز الحكم وعواصم البلاد فإن دورها كان مرتبطا بوجود الإمبراطور الحاكم، واستمرت شرعية وجودها من وجوده وعشيرة الجنجي Genj كانت تقطن في شرق اليابان بينما كانت عشيرة الهيكي تقطن غرب اليابان، وكانت كل عشيرة تسيطر على مناطقها، وتلعب دورا مهماً في تثبيت نفوذها، ونظرا لأن تلك العشائر تنتمي إلى طبقة الساموراي (البوشى) وهم أشبه ما يكونون بالماليك في دورهم العسكري، فإن الإمبراطور كان يستخدمهم عند الضرورة في تحقيق أهدافه السياسية. وبدأوا في فرض وصايتهم على الإمبراطور خاصة من كان في سن لا تسمح بإدارة شؤون البلاد ويطلق على الوصى اسم جوكو (Joko)، وارتبطت تلك العشائر بالإمبراطور بوشانج النسب حتى تقوى العلاقة السياسية بينهم، وبدأت عوامل الانقسام تظهر بعد استشعار الإمبراطور بضعف هيئته وعدم رضائه عن تلك السياسة، وانتهى الصراع باستعادة الإمبراطور لهيئته..

ولما كانت العلاقة بين تلك العشائر والإمبراطور تقوم على مبدأ البيعة والولاء له فإن أفرادها وقوادها كانوا أشبه ما يكونون بالمرتزقة أو المالك الذين يقومون بحماية الإمبراطور والتضحية بكل غال في سبيله، ونشأت علاقة فئائية أساسها الولاء والتضحية وعدم الخيانة وتربت فئة الساموراي (البوشى) على تلك القيم والفضائل وأصبح لا هم ولا عمل لهم سوى القيام بهذا الدور القتالي.. ولما كانت تلك الطائفة تعيش عالة على المجتمع فلم يكن لها مورد رزق سوى البلطجة والارتزاق من الطبقات الأضعف كالفلاحين مقابل منع التعرض لهم.. ورغم تلك الهيمنة على الكيانات الأخرى إلا أنه عُرف عنهم النبل والشجاعة والالتزام تجاه أسيادهم وقادتهم ومن يلوذون بهم من الطبقات الأخرى، وكانوا أشبه ما يكونون بالفتوات الذين يلجأ إليهم الناس عند الشدائد وأصبحت قواعد الحكم السياسى لا تخلو من

وجودهم حتى ذاع صيتهم وأقاموا حكم البوشي من القرن التاسع حتى نهاية القرن الثاني عشر. (تاريخ اليابان (Teikoku-Shion press showa 52. PP66-80 1976) وتلك العلاقة الحميمة وإن كانت في ظاهرها تستند إلى مبدأ الخدمة والولاء المطلق تجاه السيد أو المأمور بخدمته إلا أنها توجب الحماية والدفاع عنمن يقعون في إطار منطقتهم من الأهل أو الأقارب والطامعين في حمايتهم، وبالتالي نجد أن الإحساس بالمسئولية يوجب نوعاً من اليقظة والاهتمام بالعلاقات الداخلة في هذا الإطار لدرجة التفاني في بعض الأحيان.. وتنشأ عن تلك الارتباطات أنواع من المودة والرحمة تفوق حد العقل إلى الخرافة وحد البقاء إلى الفناء. ومن هنا تتسم العلاقات من هذا الصنف بالاستقرار وعدم التنازع، ويخطئ من يتصور أنه يمكن تغيير ذلك الوضع بسهولة وإلا الموت وقطع سبل العيش ولقد ظلت تلك النظم الأخلاقية بمفهومها الإقطاعي مستمرة في اليابان حتى نهاية القرن التاسع عشر إن لم يكن أكثر من ذلك.

مفهوم الجميل (on) في الثقافة اليابانية

الكلمات التي تدل على مصطلح الفضل في اللغة اليابانية والصينية والإنجليزية تختلف بحسب خصوصية كل ثقافة.

تقول روث بيندكت في كتابها "السيف وزهرة الأفحوان kiko to katana" من الصعب ترجمة مصطلح on في اللغة اليابانية إلى مثيلاتها في اللغات الأوربية، فهي كلمة جامعة شاملة تبدأ من الشعور بالواجب والتضحية وتنتهي بمعنى الشفقة والحب، ففي اللغة الإنجليزية لا يمكن أن تساوي معنى كلمة on أي الواجب بمثلتها في الإنجليزية love-kindness وإلا أصبح معناها "الواجب تجاة الطفولة" وهذا لا يستقيم مع فقه اللغة الصحيح؛ ولا أيضا يعنى التضحية. ففي اللغة اليابانية توجد عدة كلمات تعبر عن التضحية؛ فلا وجه لإقامة الدليل على مضاهاتها بكلمة on أي الفضل والجميل.

فالقواعد التي تستخدم فيها كلمة on متشعبة فهي تعنى الإحساس بالجميل تجاه من له فضل على. فالشعور بالمسئولية تجاه هذا الإحساس، ووجوب رد هذا الجميل وعدم إغفاله يستدعى العمل بكامل طاقتي في سبيل رد هذا الجميل، والتعبير الياباني المستخدم في هذا

المعنى : إننى أحمل جميلات اتجاه فلان، أحمل ديننا يجب رده... أشعر بالواجب نحو فاعل الجميل.....

مثل هذه التعبيرات الشائعة في اللغة اليابانية يوجد مثل لها في لغات أخرى ؛ إلا أن الواجب والإحساس به يتضاعف بشكل غير مالوف لدرجة التضحية و الجود بالنفس في المضمون الياباني.

إن التعدد الذي يعبر عن معنى الفضل أو الجميل والواجب الأخلاقي في اللغة اليابانية يعكس الطبيعة النفسية للشعب الياباني في فترة طويلة. والتاريخ الأخلاق لليابان يحوى الكثير من الديانات الروحية التي دخلت إلى اليابان وامتزجت بالعقائد الدينية الأصلية في تركيبها البدائي.

ولنأخذ أمثلة من تلك الثقافات التي وفدت إلى اليابان وامتزجت مع الثقافة اليابانية فالجذور الأولى للثقافة اليابانية لم تكن تزيد على شتات من المعتقدات الشعبية التي تناسب كل إقليم من أقاليم الجزر اليابانية المترامية من الشمال إلى الجنوب.. وربما نجد في الجزيرة الأم (الهونشو) HONSHU تتداخل العادات والتقاليد الإنسانية نتيجة للقرب السكاني والجغرافي، أما الأقاليم البعيدة في الشمال أو الجنوب فتكاد تختلف من حيث البنية البشرية والتركيب الثقافية وحركة التأثير والتأثير من الداخل والخارج.

فالبوذية-وهى من الديانات الشعبية في اليابان- تم استقدامها لتقوية القيم الروحية للشعب الياباني في حروبه مع جيرانه الكوريين ولقد استقدمت البوذية في القرن السادس الميلادي على يد الأمير/ شوتوكو لما تتمتع به هذه الديانة من روحانية قوية تعين على التضحية وإنكار الذات والزهد في الحياة. إن القيم النبيلة التي جاءت عن طريق هذه التعاليم مثل التضحية CHUSEI، والوفاء YONGAESHI لا يمكن إغفالها، وبخاصة التضحية في معناها القتالي الذي تحلى به رجال الساموراي (البوشي) كانت مضرب الأمثال على مر العصور⁽¹⁾.

معيارية القيم في النظام الأخلاقي الياباني لا تقوم على النفعية الخاصة بقدر ما تقوم على الانسجام الطبيعي بين الأطراف المتعارفة، فالقيمة هي فعل ورد فعل، وعلى قدر علو القيمة

(1) R.BELLA."NIHON NO KINDAIKA TO SHUKYO RINRI", MIRAISHA press1983 p.261

تكون قيمة العمل وأهميته، ولقد انتظم عقد هذه العلاقة بين مجموعات الشعب الياباني على أسس من الترابط والتضامن العرقي والإقليمي، فأبناء البلد الواحد يخضعون لأعراف القرية أو الإقليم وهي أعراف ذات طبيعته إنسانية أكثر منها معايير دينية أو تعاليم مقدسة.

إن الأساس في العلاقة بين الناس هو المعروف، والمعروف هو ما أشرنا إليه بلفظ ON فحفظ الجميل يأتي كنوع من رد المعروف، وكلما كان المعروف أكبر وأدق. فليس هناك في اليابان من ينكر فضل — معروف — الإمبراطور حتى لو لم يفعل شيئاً مخصوصاً لأحد، بل كونه رمزا مقدسا لكل اليابانيين يستوجب الإقرار من الجميع بفضله وأهليته للمعروف فهي واجب تحتمه الأخلاق العامة دون أن يكون وراء ذلك منفعة خاصة لشخص ما... إنها التركيبية الأخلاقية المثالية للمجتمع الياباني. فالجميع يدين بالولاء للإمبراطور لأنه صاحب الفضل الأعظم وأن الواجب القومي تجاه الإمبراطور هو الذي يحرك البواعث الأخلاقية لأمة بأسرها.. إن الربط بين الرمز المقدس للدول من واجبات التقديس والتضحية هو إحدى سمات الثقافة اليابانية....

لقد ظلت اليابان عبر قرون طويلة تنظر إلى أباطرتها نظرة قدسية علوية تفوق حد المعقول إلى حد الخرافة. إن مصطلح الـ(On) أي المعروف-الجميل-الفضل، يتدرج من الأعلى فالأدنى، فالمعروف الذي ناله من الإمبراطور يطلق عليه KO ON ثم المعروف الذي يناله من الوالدين OYA NOON والمعروف الذي ناله من الحاكم NUSHI NO ON والمعروف من المعلم SHI NO ON

إذن كل ما ذكرناه من الأفضال الواجب ردها، والمعروف الواجب عدم نسيانه ينسجم مع المعايير الأخلاقية لمجتمع اليابان حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، وربما ظلت تلك المعايير تمثل واجهة اليابان الحضارية أمام القيم النفعية التي جلبتها الهزيمة العسكرية لليابان على يد الأمريكان.

ويمكن تقسيم الواجب إلى التصنيف التالي: فالواجب تجاه الإمبراطور ومن يليه في السلم القيادي يحتم الطاعة العمياء والتضحية والولاء؛ فأولى الواجبات Gimu تجاه الإمبراطور. وبالتالي فإن مصطلح chuse أي التضحية من أجل الواجب يقتصر على الواجب تجاه الإمبراطور؛ والوطن والقانون.

أما الواجب تجاه الوالدين والأجداد فيستخدمون مصطلح ko ثم يأتي الواجب تجاه

العمل المنوط بي ويستخدم مصطلح NINMU؛ ثم يأتي بعد ذلك الواجب تجاه من يتساوى معي ويكون بقدر ووقت معين؛ ويستخدم مصطلح Giri ويكون كالتالي:

واجب تجاه البشر - الناس

الواجب تجاه النظام أو الحاكم *kunshu ni taisuru gimu*

الواجب تجاه الأقربين *kinshin ni taisuru gimu*

الواجب تجاه الآخرين *tanin ni taisuru gimu*

♠ واجب تجاه الكرامة والعزة؛ مثل واجب الشكر لمن ساندني عند الفشل والندامة. أو عند

ارادة عدم الإقرار بالخطأ أو الجهل أو كل أنواع الخطأ أو الجهل بالطقوس اليابانية؛

فالواجب يحتم رد الشكر.

التجربة اليابانية من النظرية إلى التطبيق

من القضايا الجدلية في بداية تحديث الدولة في اليابان نجد قضية "الاعتقاد" أو الديانة وروح العصر الحديث. فقد أخذ رواد النهضة الأوروبية بأسباب العلم الحديث القائم على العقلانية المادية منتقدين الفكر الديني الذي كانت تبناه الكنيسة آنذاك وتحرم على رعاياها الأخذ بأسباب العلم أو حتى التفكير إلا من خلالها، مما أحدث نوعاً من الخلل والجبين تجاه قضايا التحول إلى المدنية، وقيام مجتمع حر تسوده روح العقل والعلم. ولقد كانت آراء مارتن لوتر هي الرائدة في هذا التحول إلى العقلانية الدينية القائمة على روح النقد ورفض الكهنوتية الدينية والدعوة إلى التحرر من روح الاستبداد والتخلف الفكري الذي فرضته سلطة الكنيسة على رعاياها تحت ستار التدين والإيمان.. وهذا التحول بدأ من بزوغ روح النقد أولاً تجاه الفكر الديني، ثم تطور إلى ثورة عارمة في كل قضايا الحياة في تطور متتابع امتد من غرب أوروبا إلى شرقها، وهو ما عرف باسم "الثورة المارتينية البروتستانتية" بعد ذلك، ولا تزال آراء مارتن لوتر تعمل بشكل فعال في العقل الأوروبي وأدت إلى بزوغ عصر الحرية واستقلال الإنسان وتحرره من استعباد الإنسان له. وهو ما عرف باسم "الثورة الدينية" في تلك الفترة. وإذا كان الاتجاه العقلاني يرتبط أساساً بقانون الأسباب، والأخذ بها وهو ما أكده ماكس ويفر في كتاباته عن معنى التقدم: "بأنه إتيان العناصر المعقولة والمنطقية والتحرر من الأوهام والخرافات التي تلصق بالدين"⁽³⁾ فإن التقدم لابد وأن يبدأ أولاً بتحرير الدين من الأوهام والخرافات، ثم ينطلق العقل ليأخذ دوراً إيجابياً في تعمير الكون، وركز على ضرورة التفرقة بين ما هو مقدس بشكل مطلق وبين ما هو عادي. وبالتالي فإنه ليس كل مقدس بضروري في الاتباع له وتعطيل حركة الإنسان في الحياة، وبالتالي فإن الإيمان الذي يحتمه العصر هو التحول من النظريات الميتافيزيقية إلى التطبيقات الواقعية الحياتية التي تسهم في تفعيل معنى الدين وربطه بالحياة، ولا بد لكي يتحقق هذا الهدف أن يتحرر العقل من كل معوقات انطلاقه وذلك لا يتحقق إلا بالعلم المادي الذي ترتضيه الفطرة. وكان هذا هو ما يعرف بالقوانين الطبيعية التي يرتضيها العقل ولا تأبأها الفطرة السليمة.

ويهمنى هنا إبراز الاتجاه العقلاني عند اليابانيين في بداية مرحلة التحول إلى المدنية الجديدة، وتتبع حركة الفكر الياباني الحديث من خلافاً فكر القادة الرسميين وتطور فلسفة التطوير والتنمية.

أ - جذور الاتجاه العقلاني عند اليابانيين :

وإذا كان الاتجاه العقلاني في أوروبا قد بدأ بإعادة تفسير الديانة المسيحية على أسس جديدة تقوم على روح النقد واعتماد العقل كأساس جديد لحركة التغيير والانطلاقة الفكرية، فإن اليابان قد بدأت أولى خطواتها تجاه العصر الجديد في إعادة التأكيد على روح الولاء والطاعة للإمبراطور مع الأخذ بالأسباب المادية والعصرية دون أن تفرط في تقاليد الديانة الجوهريّة فقد ارتدت اليابان زى العصر الحديث وهى تفكر وتعتقد بروح اليابان القديمة^(١)، مما أوجد ازدواجية في طريقة التفكير الياباني، فعلى الرغم من النقد الذى توجهه الأقلام الغربية لليابان بسبب طريقتها في التفكير ونظريتها في التطور إلا فإن اليابان حافظت ولا تزال متمسك بروح الانتماء لقوميتها وأخلاقها وعقائدها القديمة دون تهاون.

النهضة اليابانية لم تقم على ثورة أو تحول في المفاهيم الدينية أو الأخلاقية كما هو الحال في أوروبا، بل قامت على أيديولوجية سياسية دينية تقوم على التقديس والولاء للإمبراطور بصفته المقدسة باعتباره من الآلهة الأحياء كما تزعم الأسطورة اليابانية، وتلك النظرة الأسطورية التى تعتبر الإمبراطور إلهاً من سلالة الآلهة اليابانية تستمد شرعيتها من كتاب الأساطير القديم المعروف باسم "كوجيكي" KOJIKI . وهذا الكتاب يعتبر من الكتب المشهورة الذى يدون فيه طبيعة العلاقة بين الإمبراطور واليابان وتاريخ ظهور آلهة اليابان على الجزر اليابانية. وتعتبر الديانة الشنتوية من الديانات القديمة التى لا تزال تقدر الذات الإمبراطورية وتضعها على رأس الآلهة اليابانية وتقيم الطقوس والشعائر في كل مناسبة من أجل إظهار هذا الولاء والطاعة له^(٢).

ونظراً لأن تلك الأيديولوجية استمدت شرعيتها من الديانة الشنتوية التى تنظر إلى الإمبراطور نظرة مقدسة توجب الطاعة والولاء له، فقد استخدمها قادة اليابان عند إرادة التحول إلى العصر الحديث، وذلك لتحفيز روح العمل والإنجاز في وقت قياسي، وجعلت الشعب الياباني بجميع فئاته وقياداته ينتمون قلباً وقالباً إلى الإمبراطور، ويعملون لأجله بدافع من الحب له والولاء الدينى له. ولقد اكتسبت تلك الأيديولوجية شعبيتها إبان الحرب العالمية الأولى والثانية وعند بداية الانطلاقة الصناعية في مراحلها الأولى.

(١) DONALED I. PHILIPPI (translation) **Kojiki** . Univ. Of Tokyo Press 1968.

(٢) Ibid.

ولعل ابرز من كتب عن طرق التفكير عند اليابانيين " طرائق التفكير عند الشرقيين - اليابان - التبت " للأستاذ/ ناكامورا هاجيمي، حيث أثبت الاتجاه العقلاني عند اليابانيين في الاعتقاد الديني ممثلاً في فكرة الإله في الديانة الشنتوية والبوذية وانتهاءً بنظرة اليابانيين للحياة والموت، ويبدو من آرائه أن المذهب المادى في التفكير الياباني القائم على احترام قانون الأسباب والمنفعة المادية هو ما يقصده، وهذا التفكير يعكس بالتالى إنكار الغيب أو الإيمان المطلق بإله بعينه، وإنما تتعدد الآلهة تبعاً للمصلحة التى يراها الفرد ويمكن جنيها من هذا الإله.. وربما تكون هذه الطريقة محصورة في شق واحد وهو المنفعة أو المصلحة، فهو إيمان يكمن وراءه هدف ومنفعة^(١).

ب - الاتجاه العقلاني فى اليابان فى مرحلة ما قبل التحول للمدنية الحديثة :

وفى اليابان كانت قصة الحضارة والانطلاقة تكمن وراءها ظروف مختلفة ودوافع أخرى تختلف عن تلك التى قامت عليها نهضة أوروبا وإن كانت العوائق هى من نفس المعنى ألا وهى التقاليد السائدة والعادات الراكدة، ونقطة الصفر التى يجب البدء منها. وتلك الأسباب كانت من أهم القضايا الشائكة فى التحول من النظام الإقطاعى المتخلف إلى النظام الحديث، وربما لم يكن هناك ما يسمى بالدعوة إلى التغيير نحو العصر الجديد اللهم إلا من خلال نخبة من المثقفين الذين لا يتمون إلى فكر القاعدة أى فكر الأغلبية من الشعب اليابانى. إن هذه النخبة ربما عانت كثيراً من الاضطهاد الدينى فى فترة ما قبل انفتاح اليابان التى أعقبت إعلان إلغاء النظام السياسى السائد المعروف باسم "الباكفو"^(٢).

ولقد ظهرت بوادر النهضة فى اليابان فى مرحلة ما قبل التحول للمدنية بإمكانيات متواضعة، ليس فقط على المستوى الفكرى ولكن أيضاً على المستوى العلمى بشقيه المادى والروحى.. وفى مجال الطب بدأت أول عملية جراحية للحيوانات فى أوساكا عام ١٨٠٠، وكان نخبة من المعلمين اليابانيين قد تعلموا اللغة الهولندية ودرسوا بعض الفنون الطبية، ولم يكن الطب الصينى بذات صيت فى اليابان كما هو الآن، وبدأت الحلقات العلمية فى مجال الطب الحديث تنشط، وازداد الاهتمام بعلم التشريح الجديد حيث ظهرت أولى الترجمات العلمية فى

(١) Nakamura Hajime. "The ways of thinking of Eastern Peoples".-3 (Toyojin No Shii Hoho) Shuju Sha Press. Showa 37

(٢) R.N.Bera Translated to Japanese by Horichiro, Nihon Kindaika To Skukyo Riniri Miraisha 1983

مجال الطب لأول مرة عام ١٧٧٤، وأهمها كتاب "العلم الحديث للتشريح" **Kaitai Shinsho** للأستاذ سوجيتا جينباكو وتمت ترجمته من اللغة الهولندية إلى اللغة اليابانية في عصر إيدو^(١).

ثم توالى الاهتمامات بسائر العلوم الحديثة مثل الفلسفة والعلوم الطبيعية والدراسات الهولندية من خلال تعلم اللغة الهولندية بادئ ذي بدء، ثم نقل ما هو جديد عن التقدم العلمى الغربى. ومن خلال حركة الترجمة في عصر إيدو توالى المعارف الأوروبية المترجمة إلى اللغة اليابانية بشكل مثير وصاحب هذه الانتقال دخول المبشرين الأوربيين حاملين معهم الدعوة المسيحية.

جذور الفكر القومي الياباني

١ - المدرسة القومية KOKUGAKU (١٦٨٠ - ١٨٢٠)

إذا استعرضنا تاريخ اليابان السياسى لوجدنا صلة وثيقة بين الدين والسياسة عبر ثلاثة أديان كبرى ولنبدأ بالديانة الشنتوية: إن أقدم المراجع التى تتعلق بالشنتوية توضح لنا أن مولد الدولة لم يكن فى البداية مرتبطاً بالديانة القبلية ولكن جنس ياماتو الذين كانوا محور نفوذهم فى الجزء الأوسط من اليابان فى بداية التقويم المسيحى، بدأوا يربطون السياسة بالدين مؤسسين أسطورتهم التى تقوم على تفسيرهم الخاص، تلك الأسطورة التى استمدت عناصرها من كتاب الكوجيكى والبتي نخبنا بمولد اليابان المقدسة بعد أن تزوج الإله الأعظم أماتيراسا من إلهة الشمس وأنجبوا اليابان بعد أن أحكموا سيطرتهم على الآلهة الأخرى. ونظراً لأن تلك الأسطورة هى التى استمد منها النظام الإمبراطورى شرعيته الدينية والسياسة، ونظراً لأن كلمة سياسة فى اللغة اليابانية تعنى "الاحتفال الدينى" (ماتسورى جوتو) MATSURI GOTO فإن السياسة كانت تعنى الدين، وقد أوجب ذلك قدسية بالغة عند التعامل مع المصطلح السياسى فهو يعنى طقوساً دينية وصلوات وواجباً قومياً فى نفس الوقت.

ولعل من الموضوعات التى لم تحسم فى عهد مييجى (١٨٦٨-١٩١١) موضوع العلاقة بين القيم الأخلاقية وسياسة الدولة نحو التغيير.

(١)Sogita Tsutomo **Gogen no bunkashi**،Iwanamni shinsho, 1984 p.215.

إن عمق الروابط بين الممارسة الفعلية للأخلاق والاعتقاد عند الشعب الياباني، جعل الباحثين عاجزين عن التفرقة بين ما هو اعتقاد وما هو أخلاق، فكلاهما يؤكدان تلازماً متصللاً وتعاوناً وثيقاً. فالواجب الديني هو ذاته واجب أخلاقي مقدس، وكلاهما يرتبطان بدولة الآلهة - اليابان - وإمبراطورهم المؤله، فليس هناك أي تصادم أو اختلاف بين الرؤى يجعل هناك استحالة في قيام هذا التآلف الفكري والعقائدي بل هو ذاته واجب أخلاقي وعقائدي، لذا فإن قيام ما يسمى بحركات مضادة ضد هذا اللون من الممارسات الأخلاقية هو أشبه بالجنون في مجتمع يرفض الخلاف وينبذ الفردانية.

إن المؤسس الأول لفكر المدرسة القومية هو المفكر الفيلسوف موتو أورى نوبوناغا (١٧٣٠-١٨١٠) حيث أسس نظريته القومية على أسس التراث الياباني الأدبي الذي جُمع في أشعار "المانيوشو" أو الـ "واكا"، والتي تحتوي على عشرة آلاف قطعة شعرية من مختلف الطبقات اليابانية..

ونظراً لأن مذهبه الفكري يندرج تحت مذهب الطبيعيين في ارتباطهم بالأرض والجنس بمعناهم الطبيعي دون زيادة أو نقصان. ويمجد الحقيقة في كونها نابعة من الجذور الأصلية للبيئة اليابانية، مجتهداً في إضفاء الشرعية عليها ومعتبراً ما سوى ذلك خارج عن الأصل. فهو في توجهه الفكري أصولي. وفي توجهه العاطفي طبيعي النزعة، وفي انتباهه العنصري ياباني مطلق، فهو لا يؤمن إلا بما هو ياباني أياً كان مستوى الفكرة أو مضمونها، ومن هنا نبتت أفكار العنصرية والقومية من آرائه وأصبح له مدرسة تعرف باسمه "مدرسة نوبوناغا"، وتطورت هذه المدرسة مع ظروف اليابان السياسية ونظراً للارتباط القوي بين الديانة الشنتوية - الديانة البدائية الأولى في اليابان -، والتي تعنى "طريق الآلهة" أو "طريق الإله"، وبين آراء نوبوناغا الفلسفية فإن الفكر القومي قد قام على أساس نظرية "نوبوناغا" والديانة الشنتوية الأولى.

إن جذور الأصولية اليابانية قد استمدت أفكارها من أنصار المدرسة القومية والتي تمجد طريق الآلهة، والذي تم على أساسه النظام الإمبراطوري في اليابان.. فالإمبراطور هو من نسل الآلهة اليابانية ويرتبط بوجوده الكيان الشرعي والروحي لليابان منذ مطلع التاريخ... إن عبادة الأجداد هي من أسس أركان الديانة الشنتوية، وأن الأمة اليابانية تنتهي نسباً وصهراً مع العائلة الإمبراطورية التي هي بمثابة الممثل الشرعي للآلهة اليابانية في حكم التاريخ

دراسات في الفكر والثقافة اليابانية
اليابانى.. ومن هنا يقول نويوناجا: "إن طريق القديسين لا يكون إلا من خلال حكم الدولة"^(١).

(SEJIN NO MICHU WA MOBBAR TENKA WO OSAME...)
وفي موضع آخر يكرر ارتباطه الدينى بالإمبراطور ودعوته لإحياء طريق الآلهة الملتقية
نسباً مع الإمبراطور قائلاً: "MICHU WA TENNO NO TENKA WO OSAME
.SASE-TENNO NO TENKA WO SHIROSHI MESU MICHU,
أى أن الطريق إلى الآلهة لا بد وأن يكون بالخضوع لحكم الإمبراطور ودولته. وبالتالي فإن
الشرعية السياسية هي نفس الشرعية الدينية في الفكر اليابانى القومى.
لقد اعتبر نويوناجا أن الإنسان لا يمكن أن ينفصل عن المعايير الأخلاقية وأن ذلك من
قواعد الفطرة الطبيعية، ومن خلال تلك المعايير فإن الإنسان يصبح إنساناً حقاً.

ومن هنا تبرز الدلالة الحقيقية لمذهب نويوناجا الفكرى والأخلاقى فالارتباط بالقيم
الأولية والعودة إلى الفطرة الأولى في الحياة هو ذاته منبت الفكر القومى والأصولية اليابانية،
إن تاريخ اليابان يؤكد ظهور الاتجاه الأصولى اليابانى في فترات متباعدة كان آخرها إبان
الحرب العالمية الثانية، وذلك حينما قادت المؤسسة العسكرية اليابانية إلى حرب توسعية عالمية
أخذت مظهراً أيديولوجياً باسم الإمبراطور واستخدمت الأفكار الراديكالية المتطرفة في
الهجوم على جيرانها الآسيويين.. إن أخطاء التاريخ الكبرى تبدأ من آراء بسيطة يتم توظيفها
وقت الحروب لأغراض سياسية.

٢ - حركة الميتو Mitogaku (١٧٧٤- ١٨٢٦)

هى حركة فكرية تأسست نتيجة إحساس اليابان بخطر القوى الغربية التى احتكت
باليابان قبل عصر الانفتاح التى بدأت على يد تواد يوتانى (١٧٧٤-١٨٢٦) ثم تابعه كثير من
المفكرين أمثال يوشدا شوان والذين دعوا إلى طرد الأجانب واحترام الإمبراطور.-Sonno)
Joi) وتعتبر حركة ميتو أحد أشكال الفكر اليابانى ولكنها استمدت جذورها من
الكنفوشوسية ثم تحولت إلى القومية بعد أن تفاعلت مع حركة الفكر القومى المعروفة باسم
Kokugau، ويعد كتاب Shinron الذى ألفه المفكر Aizawa Seishisai (١٧٨٢-١٨٣٦) هو

(١) Matsumoto Sannosuke , "Tenno Sei Kokka To Seiji Shiso" Mirajasha Press,
1984, p.39

دراسات في الفكر _____ والثقافة اليابانية
الأساس النظري لفكر حركة الميتو اليابانية القومية وترجع كلمة ميتو إلى اسم مقاطعة ميتو ولقد تأسست مدرسة الميتو على يد المفكر تودا يوكوكو (١٧٧٤-١٨٢٦) وهي عبارة عن مدرسة للفكر السياسي الكونفوشيوسي ونتيجة تعرض اليابان لضغوط غربية لفتح أبوابها على العالم الخارجي ولقد استخدم أتباع هذه المدرسة بعض الشعارات السياسية مثل Tagi, Sonno-Joi، Kokutai, Meibun، ولقد ظلت آراء هذه المدرسة السياسية لها تأثير كبير على الحركة السياسية في اليابان في فترة ما قبل عصر الانفتاح المعروف باسم kaikoku واستمرت في التأثير الفكري والروحي على المثقفين اليابانيين حتى نهاية الحرب العالمية الثانية^(١).

٣ - المدرسة الغربية Yogaku (١٧٦٠ - ١٨٨٠)

لو تتبعنا حركة الفكر الياباني الحديث نجده لا ينفك عن الفكر الياباني القومي بل يندمج معه في كل قضاياها.. ففضايا الأمة يرسمها قادة البلاد ويسعى لتوضيحها المثقفون من القوميين وأغلبهم ممن ينتسبون إلى جذور طبقة البوشي (الساموراي)، وهي الطبقة القائدة للمجتمع الياباني قبل عصر الانفتاح على الغرب.. فمعروف أن المجتمع الياباني في تلك الحقبة المعروفة باسم "إيدو" وهي مركز النشاط السياسي والاقتصادي والعاصمة الرسمية لليابان آنذاك، كان يتألف من أربع طبقات اجتماعية تتسلسل كالتالي :-

طبقة البوشي (الساموراي)

طبقة الفلاحين

طبقة الحرفيين

التجار

ومع إلغاء هذا النظام الإقطاعي المسمى "الباكفو" رسمياً، وقيام حكومة جديدة لها ثوابت قومية لا تحيد عنها، وقد كانت اليابان في تلك الآونة حريصة على عدم الوقوع تحت سيطرة أجنبية فكان لزاماً عليها أن تتعامل مع الواقع الجديد الذي تحتمه المصلحة القومية فألغت سياسة العزلة والانغلاق التي حافظت عليها الحكومة العسكرية المعروفة باسم الباكفو والتي استمرت قرابة ٢٦٠ عاماً متصلة فيما يعرف باسم عصر العزلة (SAKOKU). وتبنت سياسة الانفتاح تحت ضغط القوى الأوروبية فيما عرف بعد ذلك باسم عصر الانفتاح (KAI KOKU) ولقد كان هدف الحكومة الإصلاحية التي عرفت باسم "حكومة مييجي" - نسبة إلى الإمبراطور مييجي، وقد بدأ الإصلاح في الفترة من (١٨٥٣-٧٧) فيما عرف باسم "إصلاح مييجي".

(١) Yasumaru Yoshio "Kindai Tennozo" Iwanami Shoten, 1995, p.120.

الظروف الدولية لسياسة الانفتاح اليابانية في العصر الحديث

إن الظروف الدولية التي سبقت إلغاء هذا النظام السياسي العتيق هي التي عجلت بحركة التطور في الفكر الياباني الحديث، وبالذات فكر الدولة الموجه والذي هو بداية تحديث اليابان.

إن اليابان الحديثة لم تكن في بداية الأمر عازمة على هذا التحول نحو المدنية الجديدة لولا الضغوط التي مارستها القوى الغربية كي تفتح أبوابها على العالم الخارجي، وربما كان الشعور بالضعف والتخلف أمام تلك القوى هو أهم الأسباب التي دفعت حكومة مييجي إلى الرضوخ لمطالبها، حيث قارنت اليابان بين مستواها العسكري ومستوى تلك الدول فوجدت فارقاً كبيراً يكفي لفقد استقلالها السياسي.. وكان على اليابان أن تعيد تفكيرها من جديد لبناء دولة حديثة أساسها جيش قوى ودولة غنية ورفعت حكومة اليابان آنذاك عدة شعارات قومية منها:

BUMMEI-KAIKA
FUKO KU- KYOHEI
WASHIN- YO SAI

١) شعار الحضارة والتنوير
٢) شعار جيش قوى ودولة غنية
٣) تعليم غربي وروح يابانية

وقامت الدولة بإلغاء نظام التعليم القديم السائد والقائم على تعليم الأخلاق والقيم الكنفوشوسية إلى تعليم يقوم على نظام غربي. إن عهد النوم العميق الذي استطلت به اليابان قد أخذ في الأفول وبدأ عهد جديد اتسم بالمادية والواقعية والعلمانية، إنه على عكس العهود السابقة. لم يكن المثقفون بعبيدين عن هذا الجو المتوقف والحياة الراكدة، لقد أيقظت التحرشات الغربية باليابان الشعور بالضيق والحاجة الماسة إلى التغيير، لكن ما هو التغيير المطلوب؟ وهل هو تغيير في نمط الحياة التقليدية؟ أم تغيير النظام السياسي الذي تحكمه قلة من البيروقراطيين بكل ما يحمله هذا النظام من تناقضات وأعراف سائدة؟ أم هو البحث عن أسباب القوة وبالتالي تدليل ما يسهم في تحقيق هذا الهدف القومي. إنها أسئلة داهمت رجال الحكم في هذا العصر وجعلت قضيتهم هي البحث عن الحل والإجابة عن تلك الأسئلة.

لقد ساد شعور من التشاؤم لدى طبقة المثقفين الراضين لمبدأ التغيير والتحول، واليأس من تحقيق هذا الهدف لدى المثقفين الطامحين في الوصول إلى حل، لقد كانوا - رغم هذا التباين - أصحاب شراكة في مسئولية البحث عن الحل السديد، وكانوا يعيشون مع الناس بقلوبهم

لكن يحملون على رؤوسهم هموم بلدهم، وكان عليهم قبل التفكير في اختيار الحل المناسب أن يعملوا حساباتهم التي يتطلبها الشعور بالمسئولية القومية والعمل بمقتضى الضمير الوطني والأخلاقي.

لقد تحولت المعايير النظرية التي حددتها الحكمة السياسية إلى معايير واقعية تخدم قضايا الاستقلال السياسي بعيداً عن الصدام مع القوى الغربية، فالشعور بالمسئولية يحتم التعامل مع الواقع بحذر، دون التفريط في الكيان السياسي، هكذا فكر القادة اليابانيون بينما فتح الموانئ اليابانية للملاحة اليابانية، ولعل المفكر الكونفوشيوسي ساكوما شوازن Sakuma Shozan (1811-1864) هو من الكوادر التي تعاملت مع الواقع الجديد بعقلانية واستجابة ومرونة^(١).

ليس هذا من قبيل التحول الطبيعي - التطور التدريجي - لطبيعة الفكر السياسي في تلك الحقبة، وإنما كان وليد الضغط والإحساس بالخطر ليس أكثر، لقد كانت هناك حركة تغيير في المفاهيم الراكدة للفكر السياسي في تلك الحقبة ابتداء من شكل الدولة وانتهاء بالحركة الفكرية لرواد الفكر الأخلاقي الياباني، إن النظرة العامة لحركة التغيير التي هبت على اليابان تعطينا كمّاً هائلاً من الأحداث المتتابعة وتكشف الرغبة في التغيير لدى النخبة المثقفة في تلك الفترة لكن متى أو كيف؟ لم يكن في مقدور أحد التنبؤ بذلك على وجه التحديد. لقد كانت اليابان أشبه بالأمة النائمة في ظل الطبيعة الجميلة لا تؤمن بالتغيير حتى هبت عليها رياح التغيير القادمة من الغرب^(٢).

ملحوظة :

لقد بدأت بوادر التحول السياسي بإعلان التغيير Go-Isshin الذي اتبعته سياسات متتالية نحو التحديث، وهو ما يسمى بإصلاحات مييجي. ولم تشهد اليابان تحولاً سياسياً بهذه السرعة على مدى قرنين من الزمان. ربما أن الثورة والتمرد يعدان نوعاً من العصيان الأخلاقي على النظام بشقيه السياسي والاجتماعي، وغياب روح النقد العلني ربما ساعد على الجمود الفكري والسياسي آنذاك. لكن ما شهدته اليابان بعد ذلك من تحولات علمية

(١) Mat Sumoto Sannosuke : "Kindai Nihon no shiteki Jokyo" pp.36-37. Chuokoron. 1974

(٢) Kasahara Kazuo : "Nihonshi Kenkyu, pp.311-312. Yamakawa Press, 1985.

واقتصادية لامثيل لها، يجعل فهم المعادلة السياسية صعباً، فقد اندمج الفكر الشعبي والسياسي في منظومة متكاملة تفوق حد المعقول إلى الخرافة حيث جعلت من اليابان دولة فوق العادة من حيث القوة والانضباط. ولقد ساهمت النخبة الاجتماعية والسياسية في توليد روح قومية عرفت باسم **Kobu-Gattai** جعلت الحماس يدب في أوصال المجتمع الياباني.

تلك النخبة لم تتخل عن معاييرها القديمة ولكنها تعاملت مع الواقع بروح جديدة اتسمت بالحذر، فهي بقدر ما تحرص على الاستقلال ضد الأجنبي إلا أنها جذبت فتح أبواب اليابان لاستيعاب العصر الجديد فرفعت من نبرة الجدل السياسي حول موضوع طرد الأجنبي **Joiron** أو فتح البلاد **Kaikokuron** وتصاعدت الأصوات التي تنادي بإسقاط النظام السياسي القديم **Tobakuron** وقاد الإصلاحيون الجدد حركة التغيير السياسي عام ١٨٦٨ (ميجي ١) مؤكدة ولاءها السياسي للإمبراطور الملكي وأعلنت تشكيل الحكومة الجديدة وأصدرت المبادئ الخمسة للدستور السياسي المعروفة باسم **Go)kajo no** ((Go)seimon التي هي نواة الميثاق القديم لحكومة ميجي في مارس ١٨٦٨. وتتابع الإصلاحات السياسية والاقتصادية والدستورية على التوالي.

بداية عصر الدراسات اليابانية الحديثة

الدراسات اليابانية في دوائر المعارف الغربية

ومن الدراسات التي حظيت باهتمام الدارسين الأجانب نجد أكتاب القيم للدكتور أنازو نيتوبيه (بوشيدو) وهو كتاب قيم في أسلوبه قيم في مضمونه. ونخص الدكتور انازو نيتوبيه بهذا الاهتمام لأنه لم يحظ باهتمام اليابانيين المتخصصين في دراسات الفكر الياباني الحديث أو قبل الحديث. ولعل السبب الذي يكمن وراء هذا التجاهل هو اعتناق المؤلف للديانة المسيحية، وهو ما يعنى في المقام الأول غياب روح الولاء والطاعة للتربة اليابانية بكل ما تعنى تلك الكلمة من إيجابيات وسلبيات. ولو أن اعتناق الدين لذاته لا يعنى كثيراً لعمامة المتخصصين ولكن الخروج عن روح اليابان التقليدية المعروفة باسم (روح ياماتو) التي ترمز إلى دولة اليابان القديمة وروحها. وقد لاحظت أن ظهور كتاب (البوشيدو) للدكتور/ نيتوبيه كان مرتبطاً بأحداث غريبة أحاطت باليابان عند مطلع العصر الحديث تلك الأحداث قد غيرت من القيم السائدة في مجتمع السامواري أى مجتمع (الأبطال) المخلصين لليابان ممثلة في إمبراطورها وكل ما يمس شرف اليابان ماضيها وحاضرها.

لقد كان للتحول الجديد نحو الثقافة الغربية أثره البالغ في تنشيط الاهتمام باليابان الجديدة من وجهة نظر الباحثين الغربيين. ولعل هذا الاتجاه كان له أثره البالغ في زيادة الاهتمام بمعرفة تلك الجزر المتفرقة في المحيط الهادى. وبدأ المعاصرون الأوروبيون بداية من عصر ميحي محاولات فردية ورسمية لفتح قنوات اتصال مع اليابان تارة باسم التنوير الديني - التبشير المسيحي - وتارة باسم البحث عن الحقيقة، ونظراً للبعد الجغرافي بين اليابان وأوروبا فقد كانت وسائل المواصلات المتاحة هي السفن التجارية التي ترسو في موانئ اليابان، وأهمها ميناء يوكوهاما وناجازاكي وكوبيه، وتلك الموانئ كانت هي المحطات الحضارية - وواجهة اليابان المفتوحة على الغرب، وإن كان هناك تمثيل قنصلي من الدول الغربية وبالذات أمريكا وفرنسا وبريطانيا وروسيا إلا أن العوائق التي تمثلها التقاليد اليابانية كانت تشكل العقبة الكؤود في التعامل مع الشعب الياباني، وبالطبع فإن اللغة هي المشكلة الجوهرية، فالشعب الياباني انطوائى في معاملاته مع الأجنبي ربما بسبب الشعور بالتخلف والنقص وعدم القدرة على فهم اللغات الأجنبية من جانب، وربما بسبب الخوف من التعامل مع عنصر أجنبي محظور التعامل معه في ظل سياسيات الحكومة اليابانية التي كانت تحظر على الأجانب

دخول المدن والقرى اليابانية باستثناء الموانئ البحرية فقط. وقد سبب ذلك نوعاً من الاستياء تجاه اليابان، وأصبح التعامل يمثل نوعاً من الجريمة غير الصريحة، وبالتالي فإن تلك المخاوف من التعرض للعقاب جعلت أغلب اليابانيين يفضلون الابتعاد طالما لم يصدر مرسوم رسمي بذلك..

إن أوضاع اليابان في تلك الحقبة كانت من الصعوبة بحيث يصعب فهم وتفسير ما يضره المواطن العادي حيث ظلت الحكومة تفرض عزلة سياسية مدة ٢٨٠ عاماً قبل عصر الانفتاح "عصر مييجي"، وفجأة ألغت تلك القوانين والسياسات وتبنت سياسة جديدة في مظهرها ولو أنها لم تتخل عن مخاوفها وحذرهما من التعامل مع الأجنبي.

إن إحدى القضايا الشائكة في هذا العصر الجديد هي مشكلة العوائق اللغوية والأخلاقية والاجتماعية التي تقف حائلاً دون الانطلاق والأخذ بأسباب العصر الجديد. وربما كان ذلك أحد الأسباب لزيادة الاهتمام لكشف هذا الغموض في الشخصية اليابانية، بل زاد ذلك من الدعاية لليابانيين والانبهار بأخلاقهم أو تقاليدهم.. ولكن ترى هل هذا هو حقيقة الأمر؟ وما هو الوجه الآخر الذي لم يكشف عنه في تلك الحقبة.

لقد بدأت الدراسات عن اليابان منذ ذلك الحين بكتابات عن اليابان لا تخلو من سخرية ونقد، واهتمام واحترام من جانب آخر... وربما تكون تلك الحقبة هي أهم فترة كانت اليابان على طبيعتها الحقيقية. إن رؤية أجنبي في اليابان وبالذات من الأوربيين كان يعد شيئاً نادراً لأي ياباني، وقد اهتم الشعب الياباني بالكتابة عن هؤلاء البيض الذين يختلفون في الشكل والمظهر عنهم، والعادات والتقاليد اليومية. ولم يكن أمام أي مثقف سوى التعبير عن رغبته في تحقيق حلمه بالسفر إلى تلك البلاد البعيدة.

إن كتابات الرحالة الأوربيين عن اليابان في تلك الحقبة، هي البداية الفعلية للدراسات اليابانية، وقد شملت كتاباتهم صوراً كاريكاتورية عن اليابان وعاداتهم في المأكل والمشرب وبيوتهم التي كانت تستخدم كل ما هو صيني وتقلده ابتداء من اللغة وانتهاء بطريقة الطعام والملبس.

وبدأت البعثات القنصلية في اليابان محاولات جادة لدراسة وفهم اللغة اليابانية التي تعتبر لغة لا تنتمي إلى أي أسرة لغوية يمكن من خلالها دراسة وفهم هذه اللغة، فرغم أن اليابانيين استعاروا الحروف الصينية في الكتابة إلا أنه لم يكن هناك نظام نحوي يمكن فهمه بطريقة عقلانية - فاليابان تضم العديد من الجزر وكل جزيرة تستخدم لهجاتها المحلية وحتى

العاصمة "إيدو" تم تغييرها ليصبح اسمها "طوكيو" ولها لهجتها أيضاً مما جعل الحكومة اليابانية تسعى لتوحيد التعليم في الجزر المختلفة لتصبح لهجة طوكيو العاصمة هي اللغة الرسمية في الكتابة والتخاطب. إن التباين والتعدد في اللهجات اليابانية كان يمثل عقبة كبرى لفهم هذه اللغة وبالتالي هذا الشعب.. وإليك أسماء المؤلفات المتعلقة باليابان في تلك الحقبة:

العام	اسم المخطوط - المؤلف	اسم المؤلف
1874	The history of Japan. 2 vols.	ADAMS F. OTTOWEL
1874	Transactions of the asiatic society of Japan	
1874	Sketches in the su burbs of Yedo	PURCELL T. A.
1875	Kaitakushi N Reports and lettrs of the kaitakushi. The loyal league.	KEBURON
1879	The light of Asia A comprative study of the Japanese / Korean language	Arnold S: Edwin Aston
1880	Youfg Japan N Yokohama and Yedo Japanese chronological tabeles	Black Bramsen W.
1881	Ahand book for travelters in central and northern Japan Historical notes on Nagasaki	Woolley W.A.
1882	Kojiki record of ancient matters. The land of the morving The pet of the consulate	Chain Baren Dixon W. Gray Carruthers Annie
1891	Japanese girls and women	Becon
1893	A japanese interior	Becon
"	Japan as we Saw	Bickertsteth
"	Landocope (gradening) in Japan	Kondor
"	La restauration Imperaile on Japan	layre
1894	The life of sir H. Parkes same time her majisty's minister to Japan	Diekins
	Glimpesu of unfoamiliar Japan	Han
	Letters from the land of the rising sun	Bama
1895	Bibliography of Japanese empire	Winkshuten
	Rambles in Japan : the land of the rising sun	Tristran H. Baker
1896	How I Became a Christian	Uchimura Kanzo
1897	Letters received by the East India company from its servants in the East	Danvers Sr. Foster W.
	Letters from Japan	La Faji Diosy Arthor
	The new far east	
1898	Catalogue of Japanese printed books and manuscripts in the library of the British museum	Douglas R.K.
1899	A History of Japanese literature.	Aston
1900	Modame Butterfly	Berasko

إن دراسة اليابانيين دون فهم لغاتهم أمراً شاقاً، فقد كان أشبه بمحاولات شامبليون لفك طلاسم اللغة الهيروغليفية القديمة، مع فارق واحد هو أن الذين دونوا تاريخهم من المصريين لم يكن منهم أحد على قيد الحياة، أما اليابانيون فهم أحياء، ويصعب فهمهم أو التعامل معهم. بالتأكيد كان حرص الجهاز البيروقراطي الحكومي على توظيف الكفاءات من اليابانيين الذين لديهم معرفة باللغات الأوربية تعد أحد المداخل الحسنة التي جعلت الاحتكاك ضرورياً بينهم وبين البعثات الدبلوماسية الأجنبية، وربما كان ذلك هو البداية الفعلية لدراسة حضارة الغرب ولغاتهم، وبزوغ الاهتمام المشترك بينهم وتطور العلاقات الثقافية بين الجانبين.

الدراسات اليابانية في مصر والشرق الأوسط

إن الدراسات اليابانية في مجال الفكر والثقافة واللغة تعد حديثة على منطقة الشرق الأوسط وبالذات العالم العربي، الذي لم يكن هناك اتصال مباشر بيننا وبينهم إلا من خلال القنصليات الموجودة آنذاك والتي لم تكن في بؤرة اهتمامها نشر الثقافة اليابانية لدى الإنسان العربي، ولا كذلك نشر الثقافة العربية لدى اليابانيين في تلك الحقبة. ومع بداية احتدام الصراع السياسي بين العرب وإسرائيل اتجهت اليابان تحت ظروف اقتصادية دولية إلى منطقة الشرق العربي باحثة عن علاقات أكثر قوة من ذي قبل لتقوية مشاعر الصداقة بين البلدان العربية واليابانية.

ولعل من أهم الكتب التي كتبت عن اليابان نجد كتاب الزعيم الوطني مصطفى كامل "بلاد الشمس المشرقة" (١٩٠٤)، وقصيدة حافظ إبراهيم "غادة اليابان" التي ألفها في نفس العام، كذلك نجد المقالات التي ظهرت في مجلة المقتطف في الفترة من (١٩١٦-١٩٢٧) والتي تمجد انتصارات اليابان على روسيا في تلك الفترة، كذلك نجد علاقة اليابان بالإسلام التي بدأت من خلال جهود فردية، أهمها أحد الضباط المصريين السابقين الذين ذهبوا إلى اليابان لنشر الإسلام أو للتعريف به ثم تعارفه مع الدعاة المسلمين في اليابان وقيامهم بالتعريف بالإسلام في ذلك الوقت عام ١٩١٠.

إن النصف الثاني من القرن العشرين، وما صاحبه من تحرر من الاستعمار المباشر لكثير من الدول العربية، مهد بعض الطرق أمام اليابان لإقامة علاقات دبلوماسية واقتصادية مع الدول

العربية بعد أن زال كل شك في النوايا السياسية اليابانية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية فأُنشئت السفارات وأُرسلت البعثات الدبلوماسية وبدأ تبادل البعثات الدراسية بين مصر واليابان في الخمسينيات من القرن العشرين إلا أنها كانت لدراسة العلوم الطبيعية، وكان من الضروري أن يصاحب ذلك إنشاء مركز ثقافي في اليابان في مصر في عام ١٩٦٥، وكان ذلك بداية لإزالة بعض العوائق التي حالت دون إقامة دراسات يابانية في مصر في النصف الأول من القرن العشرين وبدأت خطوات واثقة تعد بظهور حركة منتظمة للدراسات اليابانية في مصر والعالم العربي^(١).

الاستنتاج

لقد كان للنهضة اليابانية جذور قديمة ساعدت على سرعة الالتحام مع العصر الحديث. وتلك الجذور كانت ممثلة في بزوغ الاتجاه العقلاني الجاد في حركات الفكر الياباني الحديث والتي قادها مؤسسو حركة الحضارة والتنوير أمثال فوكوزاوا يوكيتشي، والتي نادى بضرورة فتح العقل الياباني على الحضارة الحديثة ورفض كل أشكال الرجعية الفكرية الراضية لذلك. ونظراً لأن طبيعة الفكر الديني عند اليابانيين مرتبطة بقوانين الأرض القائمة على النفعية والسببية فقد ساعد ذلك على هذا التحول إلى الحضارة المادية ولم تكن هناك عوائق عقائدية تحول دون التعامل مع عصر المادة، مما أضاف حرية في الحركة والإنجاز. ولو أن العناصر العقلانية في الفكر الياباني لم تكن كافية للتحول السريع لما أمكن ذلك من تحرير العقل والروح اليابانية التي أثبتت وجودها في ميدان العلم والعمل.

(١) د. عصام حمزة : الدراسات اليابانية في مصر والعالم العربي ، عدد خاص بمناسبة اليوبيل الفضي لإنشاء قسم اللغة اليابانية. مجلة كلية الآداب، ١٩٩٩.

دور العقيدة الدينية في النهضة اليابانية^(١)

مقدمة

نهضة الأمم مرهونة بعقيدها في الحياة التي تركز عليها، فالنهضة الأوربية ارتكزت على العقيدة البروتستانتية.. وهي عقيدة طورت المفهوم التقليدي لعلاقة الإنسان بربه من علاقة عقيمة لا تثمر إلى عقيدة ذات مفهوم جديد.

هذا التطور في العقيدة الدينية أوجد مبررا شرعيا للأخذ بأسباب النهضة والانطلاق لتحقيق المآرب الدنيوية، فلولا ذلك لظلت أوروبا على حالها تعاني سطوة الكنيسة وتسلطها على كل شيء.

وقد يقول قائل إن هذا المفهوم الجديد في الحياة الدنيوية قد جلب الأطماع الشريرة وجعل غاية الإنسان هي الدنيا فقط وجرده من ولائه المطلق للدين.

أقول إن ذلك قد يكون صحيحا إذا اكتفى الإنسان بحاجاته دون أن يمتد بنهضته إلى الآخرين، فالانطلاقة الجديدة التي تمثلت في العقيدة البروتستانتية قد أعادت التوازن في العلاقة بين الدين والدنيا بما لا يتعارض مع الواقع، فإن إعادة تفسير العقيدة بما يتلاءم مع مفهوم العصر قد حقق الاستقرار النفسى وساعد على الامتداد بتلك العقيدة إلى المجتمعات الأخرى، أى إنها ثورة دينية بمعناها الحقيقي.. فقد ساهم رواد النهضة في إعادة تفسير العقيدة وجعلوا الهدف الدنيوى لا يتعارض مع الحياة الأخروية، ليس هذا فقط بل أيضا أعطوا بذلك الشرعية الدينية التي تزيل كل المخاوف من الانحراف عن الطريق المستقيم.

النهضة في اليابان ذات طابع فريد من حيث الظروف ومن حيث العقيدة، فالظروف التي أحاطت بها هي التي ولدت الانطلاقة القومية، فإذا كانت الثورة الدينية في أوروبا قد قامت على التناقض بين مفهومى الدين والدنيا، فإن الظروف الدولية التي أحاطت باليابان في نهاية القرن الثامن عشر هي التي حركت العاطفة القومية نحو النهضة الصناعية.

ولكن تلك العاطفة القومية قد أثرتها عوامل ثقافية وأخلاقية مكنتها ودفعتها إلى الأمام، فطبيعة المجتمع اليابانى وتركيبه الثقافى هو الذى ضمن وحدة الأمة وتكتلها نحو تحقيق الهدف القومى المرجو.

(١) ملخص رسالة الماجستير المقدمة إلى الجامعة الدولية اليابانية - قسم العلاقات الدولية
شعبة الدراسات اليابانية ١٩٨٦.

وقد يتعذر ذلك في كثير من الثقافات الأخرى المجاورة لها كالصين وكوريا والهند، فالنظام الميراليكي الذي حكم اليابان من نهاية القرن الثامن عشر إلى بداية القرن العشرين قد أوجد نوعاً من الاستقرار السياسي والاجتماعي ضمن سرعة القيادة والتوجيه القومي نحو الهدف المرجو.

وهذا النظام الميراليكي قد قام على فكر ديني سياسي واحد. فالأمة اليابانية بكيانها الديني والاجتماعي تستمد وجودها الروحي من الإمبراطور، فالإمبراطور هو آخر الآلهة الأحياء والممثل الشرعي للآلهة المنتقلين ونظراً لأن آلهة الأمة اليابانية تلتقي نسباً وعرقاً مع الآلهة والأباطرة الذين حكموا اليابان، فإن روح الأسرة قد سادت العلاقة بين أفراد الأمة والإمبراطور. فالإمبراطور هو الأب الحقيقي لأفراد الشعب وهم أبناؤه، وبالتالي فإن طاعته والولاء له يعد أعلى قيمة أخلاقية ومنبع رضاء الأجداد من الآلهة، فليس هناك انفصال بين اعتقاد الشعب الياباني وحكامه، فالحكام والشعب يعتقدون نفس الدين ويطبقونه في الواقع.

موضوع الرسالة

الهدف الرئيسي من هذه الرسالة هو إبراز دور العقيدة في توحيد صفوف الأمة وإمدادها بالقوة الروحية القادرة على إنجاز المهام الموكولة إليها.

فإذا كانت النهضة الأوروبية قد ساعدت على انطلاقها التناقض الحقيقي بين الفكر الكنسي وبين متطلبات الواقع الديني، وبالتالي فإن الحاجة إلى إعادة تفسير العقيدة الدينية بما يتلاءم مع الواقع أصبح أمراً جوهرياً، فإن النهضة اليابانية قد ساعدت على إيقاظها الشعور بالضعف والتخلف الياباني إزاء القوى الغربية التي تلاشت باليابان مجبرة إياها على فتح موانئها بالقوة، وقد ساعد ذلك الإحساس على تقوية الشعور السياسي بأهمية بناء جيش قوى يمنع هؤلاء البيض من الاقتراب من دولة الأجداد.

وفي هذه الحالة يهمني جداً أن أشير إلى أن تحقيق هدف القادة السياسيين لليابان والذي كان ينحصر في بناء جيش قوى قد ضاعف من الرغبة في خلق نوع من الوحدة القومية أو الفكر القومي الذي يمهد الطريق لتحقيق ذلك الهدف الكبير.

وقد حددت اليابان هدفها في استجلاب المعرفة العلمية وتحقيق الهدف القومي الذي يحفظ كرامة الأمة، وهنا يحلولى أن أوضح الأيديولوجية السياسية التي لجأ إليها رواد النهضة اليابانية، فقد استخدموا بمهارة فائقة الفكر الديني القائم على الطاعة والولاء للإمبراطور،

فالولاء للإمبراطور يستدعى الطاعة له وخدمة دولته ونوابه الممثلين في القادة السياسيين، فارتبطت في أذهان اليابانيين العلاقة بين طاعة الدولة وطاعة الإمبراطور فأصبح العمل لأجل الدولة مطابقا في المعنى لطاعة الإمبراطور.

فقد أعادوا تفسير العقيدة الدينية في ثوب جديد بحيث ينعدم التناقض بين القيم الروحية للشعب والأهداف القومية للأمة، فكل أفراد الأمة اليابانية يرون في تحقيق أهداف الدولة منتهى الطاعة للإمبراطور، ونظرا لأن الإمبراطور هو ممثل الآلهة من أجداد الشعب الياباني فإن ذلك يعد أعلى قيمة أخلاقية وطاعته تعد نوعا من رد الجميل الذي حصلوا عليه من آبائهم وأجدادهم المنتقلين. ونظرا لأن الشرعية الدينية قد انتقلت من مجرد السلطة الفردية للإمبراطور وعائلته إلى القادة السياسيين، فإن الولاء لهم والانصياع لأوامرهم قد كان له أكبر الأثر في تحقيق نهضة اليابان السريعة، وربما ذلك أيضا قد جرف اليابان إلى تيار التوسع والاستعمار فانتقل من مجرد دولة تسعى إلى حفظ استقلالها السياسي من تحركات الغرب إلى دولة استعمارية مهددة بذلك استقلال جيرانها الآسيويين إلى أن انتهت بهزيمتها الأخيرة في الحرب العالمية الثانية.

ولولا تلك العقيدة الدينية التي استنبطها رواد النهضة اليابانية لظلت اليابان دولة متخلفة بل مستعمرة غربية شأنها بذلك شأن المستعمرات الغربية الأخرى، ويجدر الإشارة هنا إلى أن وحدة الأمة اليابانية كانت متوفرة تحت شعار الإمبراطور، ثم تطورت إلى وحدة قومية ذات طابع متطرف سياسي لم يشهد التاريخ مثله من قبل.

خاتمة:

ما من نهضة حديثة إلا ويقف وراءها منهاج من القيم الدينية تكون بمثابة الطاقة الروحية التي تغذي عقيدة العمل، فلو نظرنا إلى النهضة الأوربية الحديثة لوجدنا أنها استمدت عقيدتها في الحياة والعمل من العقيدة البروتستانتية وهي قيم دينية أخلاقية تجعل العمل والسعي في الدنيا جزءا من الإيمان، بل فريضة إيمانية تعادل أعلى الفرائض.

كذلك الحال في النهضة اليابانية، فإن إعادة تفسير العقيدة الدينية بما يتلاءم مع متطلبات العصر قد أوجد حلا سياسيا لمشكلة النهضة، فقد جعلت من السعي لطاعة الإمبراطور قيمة دينية أخلاقية انتهت إلى الإنجاز والعمل.

لا اعتقد أن هناك أمة يمكن أن تنهض دون عقيدة يرتضيها الشعب، ودون أن تتعارض تلك العقيدة مع قيمه الأخلاقية والاجتماعية.

قضية الأخلاق عند المثقفين اليابانيين

في عصر مييجي

تعتبر قضية الأخلاق عند المثقفين في عصر مييجي من أكثر القضايا جدلا وحساسية... ولم تكن قضية عادية يمكن التهاون فيها فقد عبرت عن أزمة المثقفين في تلك الآونة، حيث عكست الحيرة والرفض لمعاني التقدم الجديدة التي صاحبت فتح أبواب اليابان عند بعض المثقفين وكان تيار الرفض في المثقفين متميا أغلبه إلى "المدرسة القومية" التي تعبر عن الروح اليابانية وهي روح الالتزام بالنظام الإمبراطوري في معناه السياسي والثقافي والاعتقادي.. لقد حدث نوع من الهزة الثقافية نتيجة ضغوط الغرب على اليابان ممثلة في فتح موانئها وتوقيع معاهدات تجارية مع بعض الدول الأوروبية، وهزيمة الصين الكبرى على يد الإنجليز فيما يسمى بحرب الأفيون.

إن عهد النوم العميق الذي استطلت اليابان به قد أخذ في في الأفول وبدأ عهد جديد يتسم بالمادية والواقعية والعلمانية، إنه على عكس العهود السابقة التي لا ترى سوى الاعتقاد في الخرافات والاعتماد على الوهم، إنه عهد ما يسمى بالإقطاع، أو التقاليد الإقطاعية، إنه عهد عبودية القادة والسادة دون مناقشة أوامرهم، إنه نظام الولاء المطلق والخضوع الأعمى للماضي.

لم يكن المثقفون بعيدين عن هذا الجو المتوقف، والحياة الراكدة اكتفاء بما تجود به الأقدار، لقد أيقظت التحرشات الأوربية باليابان الشعور بالضعف والخواء، والإحساس بالحاجة إلى التغيير، لكن ما هو التغيير المطلوب؟ هل هو تغيير الحياة الاعتيادية؟ هل هو تغيير النظام الإقطاعي بكل ما فيه من تناقضات وأعراف؟ هل هو القوة والبحث عن أسبابها؟ هل هو الرضا بالسيطرة الأجنبية والسير وراء النظام الغربي؟ هل هو المفاهيم الأخلاقية التي تعوق الوصول إلى التقدم؟

إنها أسئلة كثيرة داهمت رجال الحكم في عصر مييجي، وجعلت قضيتهم هي البحث عن الحل والأجوبة لهذه الأسئلة.

ولقد كان المثقفون في هذا العصر أشبه ما يكونون بالغرقى في بحر من التشاؤم، واليأس من الوصول إلى الحل.

لقد كانوا أصحاب شراكة في مسئولية البحث عن الحل السديد، والإجابة السليمة لتلك

الأسئلة، كانوا يعيشون مع الناس بقلوبهم لكن يحملون هموم بلدهم، إن قضية الأخلاق لم تكن بالمعنى العلمى النظرى الذى هو فى إظاره العام لا يختلف عليه اثنان، إنما فى مضمونه الذى يمثل العرف السائد، القيم الجميلة، الانتماء للإمبراطور. إن التخلّى عن شىء من تلك الأخلاق يحتاج إلى زمن طويل وثورة غير عادية، ولا يعتقد أحد أن بإمكان الحكومة أن تلغى ذلك فى غمضة عين. إن قضية الأخلاق فى ذلك العصر تمثل شقين:

١ - شق يتعلق بكيفية تحقيق شعار قوة اليابان وثروتها

٢ - شق يتعلق بالعقبات الأخلاقية التى تمثل الجبهة الراضة لهذا الاتجاه

ولكى نصف المثقفين فى اليابان فى هذا العصر، فإن اختيار مجلة السادس من ميجى (مى روك زاشى) يمثل التجمع الثقافى الكبير فى تلك المؤسسة (مى روك شا)، لذلك فإننى سأتناول أولاً تلك القضية من خلال كتابات أعضاء هذه المؤسسة، وهم ذوو اهتمام بالموضوع الحضارى وقضية التقدم، وأغلبهم ذوو انتماءات قومية وتعليم كفو شيو سى.

ترى ماذا أسهمت تلك المؤسسة فى توعية المجتمع الثقافى تجاه الأفكار الجديدة القادمة من الغرب؟ إن البحث يعالج قضية المجتمع الثقافى (المثقفين) فى عهد ميجى ممثلاً فى مؤسسة (المى روك شا) والموضوعات التى تناولوها. والأخلاق (فى وجهة نظر الباحث) ليس المقصود بها المعنى التجريدى، ولكن النظام الأخلاقى بكل سلبياته وإيجابياته، إن المثقفين حاولوا فيه محاولات ناجحة فى تنوير الطبقة المثقفة بنجاح الحضارة الأوربية، فى الوقت الذى حرصوا فيه على تثبيت القيم الجميلة فى وجدان الأمة - إن قضيتهم الأولى هى كيف تصل اليابان إلى تحقيق شعار، دولة قوية وأمة غنية.

إن هذا الشعار كان يمثل الهدف وعليهم الوصول إليه - إن دور المثقفين كان رائعاً بحيث كان يلتحم بصدق مع مشروع الحضارة والتنوير الذى تبنته الحكومة اليابانية فى عهد ميجى.

لقد نجح هذا الدور فى نقل وترجمة كل ما هو مكتوب إلى اللغة اليابانية، وتمثل هذا الدور بوضوح فى كتابات أعضاء فى مؤسسة "المى روك شا" كذلك بعض الترجمات لمثقفين لم يكونوا أعضاء فى تلك المؤسسة.

حضارة اليابان^(١)

ماهية العلاقة بين التقدم والحضارة والسعادة

- إن للسعادة بالغرب أهمية كبرى حيث تمثل الرفاهية للأفراد، والتي أثمرتها الحياة العصرية ولكنها لم تحقق السعادة المنشودة للفرد.
- كان المقصود قديماً بالحضارة :
- تحقيق الاستقرار النفسى والأسرى للفرد والرفاهية المترتبة على ذلك.
- بعد الانتقال للعصر الحديث ظهرت كتابات تتساءل عن ماهية الحضارة.
- بحثت الدول الصناعية الكبرى عن الاستعمار واحتلال الدول الصغيرة ونهب ثرواتها.
- تم الفصل بين الدين والدولة لتصبح الدولة هى الراعية لجميع أنواع النشاط الإنسانى.

اختلاف فلسفة الحضارة عند كل بيئة ثقافية وكل دولة :

فمثلاً :

- الثقافة الأوروبية والتي انبثقت عنها الحضارة الأوروبية.
- نتيجة للتقاليد الدينية التى حكمت الثقافة الأوروبية والتي كانت صارمة متداخلة فى جميع شئون الحياة.
- ظهرت فى أوروبا (نزعة تحررية) لبدأ حضارة جديدة بعيدة عن الدين.
- حيث قامت الحضارة الأوروبية على (النزعة العقلانية النقدية) والتي نقدت الأفكار الكنسية العقيمة المعارضة للعلم والمضطهدة للعلماء.
- كانت هذه النزعة وليدة ضغط نفسى بسبب هيمنة (الكنيسة الكاثوليكية) والتي كانت تحكم المجتمع بمفاهيم دينية غارقة فى الجهل والتعنت وقد ظهر الاتجاه التحررى الراض لهذه الهيمنة المتعسفة والذي دعى إلى التحرر من سيطرة رجال الدين والكنيسة على كل نواحي الحياة، وقد كان هذا الاتجاه هو أول علامة صحية مرضية عن الاتجاه الصحيح حيث إن روح النقد هى البداية الصحيحة لأى اتجاه عقلاى.

(١) ملخص محاضرات ألقاها د. علاء على زين العابدين على طلاب الفرقة الأولى بقسم اللغة اليابانية فى الفترة من عام ١٩٩٠ وحتى عام ٢٠٠٤.

- ثم بدأ هذا الاتجاه النقدي يزداد قوة بين زمرة المثقفين ورجال العلم وهم قادة هذا الاتجاه في أوروبا. ولكى يبدأ الإنسان بداية سليمة لابد أن يحرر العقل، حيث إن تمكين العقل وسيطرته هما مفتاح الرقى والتقدم، وقد كانت هذه البداية في أوروبا هي سر انطلاقها السريع وتحررها من قيود الدين والتقاليد ورجالهم.
- احترم الأوروبيون العقل كنتيجة لتبنيهم النزعة العقلانية البحتة وما يترتب على ذلك من رفضهم للخرافة والتقاليد والأعراف البالية.
- ثم احتكموا إلى مقاييس العلم ومعايره الذى حل محل الدين كسلطة مطلقة على حياة الإنسان.
- كان رجال العلم في ذلك الوقت مضطهدين من رجال الدين، ومتهمين دائماً بالهرطقة حيث اعتبر رجال الدين العلم وقفاً على رجال الدين وحكراً عليهم، وأن تدخل أى شخص غير رجال الدين في الشؤون العلمية هو نوع من الهرطقة وهي الكفر.
- وكنتيجة للمعاناة الشديدة التى عانتها إيطاليا بوصفها مقر الكنيسة الكاثوليكية بدأت شعلة الثورة في الاندلاع من إيطاليا ثم امتدت تبعاً إلى إنجلترا وفرنسا وألمانيا لتعلن مولد إنسان أوروبى جديد قد تحرر من نير الخرافة وآمن بالعقل وحكمه، ومن هنا كانت البداية الجديدة لأوروبا.
- تبع بداية العصر الجديد بزوغ فجر عصر الآلة والميكنة الحديثة، وكانت هذه من أهم ثمار الاتجاه العقلانى الذى احترم العلم وقدس العمل.
- وفي الحقيقة توجد بعض الكتابات الأوروبية المنصفة تؤكد التأثير الكبير لفلاسفة العرب في هذا العصر - وعلى رأسهم الفيلسوف ابن رشد - على أفكار مثقفى أوروبا في هذا العصر خاصة جنوب فرنسا و نابولي بإيطاليا.
- وبالطبع كان للأندلس وما فيها من حضارة علمية زاهرة في هذا العصر أكبر التأثير على الاتجاه الأوروبى في ذلك الحين نظراً لقربها الشديد من المدن الإيطالية والفرنسية والإنجليزية والتي كانت رائدة هذه الحركة التحررية العقلانية.
- ولكن ما زال أغلب الأوروبيون يتعاملون بجحود شديد مع الفضل العميق للحضارة العربية الإسلامية على الحضارة والتقدم والمدنية الأوروبية الحديثة، ولكن من يملك أبواق الدعاية الكاذبة الرنانة يستطيع قول ما يشاء.

- كانت بداية التحرر هي ظهور الحركة البروتستانتية (بيوريتانزم) وقد كانت نوعاً من الاعتراض على الأحكام الكنسية والخروج عن طاعتها وتحقيق مفهوم جديد للدين حتى يكون الدين في ثوب أكثر حرية واحتراماً للعقل، وقد تركزت هذه الحركة بصفة خاصة في إنجلترا وفرنسا وألمانيا.
- أسهم هذا الاتجاه الجديد بشكل فعال في تحرر الفرد ونهضة العلم وانكماش دور الدين حتى يصبح له السيطرة داخل جدران الكنيسة فقط.
- وترتب على هذا أن أصبحت الدولة العلمانية المدنية غير الدينية هي الأساس الذي نهضت على أكتافه الحضارة الأوروبية.
- وكان من ثمار هذه النهضة ارتفاع مستوى المعيشة وانتشار القيم المادية الهابطة وانكماش دور رجال الدين وانحساره إلى الكنيسة فقط، ومن هنا ظهر الانحلال في هذه المجتمعات والذي أصبح المرادف للحرية، وباسم هذه الحرية الزائفة تم ارتكاب الكثير من الجرائم وانتهاك الحرمات.
- وكان في هذا تلويث للحرية والتي هي من أسمى معاني الحياة وهي تعنى (حق كل إنسان في الحياة الكريمة والاعتقاد والاستقلال).
- كان كل ما نادى به أوروبا في بداية نهضتها شعارات تعبر عن حاجتها الطبيعية لهذه القيم وبالتالي فإن العصور المظلمة التي عاشتها أوروبا كانت هي السبب الطبيعي لهذه الدعاوى والشعارات.
- أصبح الهجوم على الأديان من وجهة نظرهم أمراً طبيعياً لاعتقادهم أن جميع الأديان تسيطر على حرية الفرد وتكبل طاقاته الإبداعية.
- وقد كان تعميم هذا الحكم أحد الأخطاء الفاحشة التي وقع فيها الأوروبيون في غمرة شعورهم بالقوة بعد التحرر والثورة الصناعية، ومن هنا كانت دعوة أوروبا إلى فصل الدين عن الدولة لا تتناسب وجميع المجتمعات والأديان بسبب الاختلافات الجذرية بينهم.
- ولكن نظراً لوقوع غالبية الدول العربية وغير العربية تحت نير الاستعمار الأوروبي فقد كان طبيعياً أن تنشأ تطورات بين المحتل والشعوب العربية المسيطر عليها نظراً لاختلاف رؤية كل منهم لوظيفة الأديان وأهميتها ودورها، وأيضاً لسعى الأوروبيين لفرض وجهة نظرهم على شعوب تختلف عنهم كل الاختلاف روحياً وعقائدياً وتاريخياً.

- ومن هذا نستنتج أن الحضارة هي من وجهة نظر الغرب (التحرر من كل ما هو ديني ومقدس وإثبات كل ما هو عقلاني مادي بحت، حيث لا يهتمون بالجانب الروحي من الحياة ولكن بجانبها المادي فقط).

كان للتقدم الصناعي في أوروبا سلبياته الكبرى ومنها :

♠ أولاً:

(١) نتيجة لارتكاز الدول المتقدمة على العلم فقط وإحداها، سعت هذه الدول إلى جعل الإنسان مجرد ترس في آلة لا هم له سوى عمله وحياته المادية وإشباع غرائزه التي تعتبر الوقود الذي يتزود به لمواجهة ضغوط الحياة العملية دون انهيار، وترتب على هذا الخواء الروحي التام لهذا الإنسان.

(٢) أيضاً مخالفة الفطرة الإنسانية التي تحتاج إلى الوقود الروحي كما تحتاج إلى الإشباع الجسدي، كان سبباً في انهيار بعض هذه الدول وعدم قدرتها على المواصلة - مثل الاتحاد السوفيتي سابقاً والذي كان قوة ضارية لا يستهان بها - حيث جعلت من الإنسان الذي هو أساس بناء كيان المجتمع مجرد حيوان قوى مفكر فقط.

♠ ثانياً:

(١) ظهور النزعة الاستعلائية العنصرية التي ميزت الإنسان الأوروبي تجاه أي إنسان غير أوروبي وظهر ما يسمى بالترفة العنصرية التي تنبع ليس عن الفروق الفردية في المهارات والنبوغ بل على أساس عنصرى من التفرقة القائمة على أساس اللون والجنس والدين.

(٢) أصبح الإنسان غير الأوروبي محل هجوم ونقد اضطهاد وقد ظهرت هذه النزعة العنصرية مبكرة في نهاية القرن الثامن عشر.

(٣) ظهور ازدواجية المعايير.

□ نظرة ختامية إلى مساوئ الحضارة الأوروبية وفشلها في تحقيق السعادة

من منطلق الرفاهية الجديد :

- وعلى أساس هذه الخلفية نرى أن الحضارة الأوروبية كانت في بدايتها حسنة النية داعية إلى التحرر من كل ما يقيد العقل والارتقاء بالفرد واحترام العلم والعقل.
- ولكنها لم تثبت على هذا المبدأ حينما تعاملت مع الشعوب الأخرى من منطلق القوة

والسيطرة والاهتمام بالذات وإهمال الآخر وحرمت على الشعوب الأخرى ما استحلته لنفسها.

- واستغلت وسائل التقدم الخاصة بها في الهيمنة والسيطرة على الشعوب الضعيفة باسم الحرية والاستقلال والتقدمية.
- وإلى الآن مازالت نظرة الغرب للشعوب الأخرى قائمة على الحق المطلق في التملك والسيطرة من منطلق القوة حيث يحكم الأقوى ويتملك، ومن الناحية الأخرى فإنها تحاول الاستخفاف بالدول الصغرى وتهميشها.
- ويظهر هذا بوضوح على مسرح الأحداث الدولي، ولم تعد الحضارة والحرية والتقدم سوى وسيلة لتحقيق مطالب الأقوى، ولم تعد كلمة حضارة تعنى العلم النافع والأخلاق الراقية بل هي سلاح رادع واقتصاد قوى.

بزوغ الحضارة الأوروبية وأهدافها وتأثيرها بالحضارة العربية في الأندلس

- لقد كان تأثير الحضارة الغربية بالحضارة العربية في الأندلس حقيقة واقعة لا ينكرها إلا جاهل أو جاحد.
- حيث كانت الأندلس في هذه العصور أشبه بالقبلة التي يتوجه إليها كل طالب علم ومن هذا المنطلق بدأت أوروبا توائم بين ما حصلت عليه من حضارة العرب وبين ما أبدعته بنفسها في مجال الآلة والميكنة.
- ثم بدأت الخطوة التالية باستيعاب هذه العلوم والإضافة إليها ومن ثم نسبها لنفسها
- ثم بدأ تطور الميكنة والعلوم الطبيعية رويداً رويداً في وقت بدأ يعم العالم فيه ظلام الجهل والتخلف وكان لزاماً على الدول التي بدأت هذه الخطوة أن تقوم بدورها في تنوير باقى دول أوروبا

الحركة البروتستانتية ودورها في حضارة أوروبا :

- كان لبزوغ الحركة البروتستانتية دوره الفعال في إصلاح بعض النظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتي لم تكن تتواءم مع الطبيعة والظفرة مثل الزواج والعمل والربا.
- وكان لهذه الحركة الإصلاحية النقدية أثرها في شيوع روح النقد لكل ما هو مقدس.

- وقد ربطت الحضارة البروتستانتية الأوروبية بين العمل والدين حيث جعلت قيمة الدين تصب في العمل، وكان هذا هو ما زاد حافز العمل عند البروتستانتين.
- كانت للبروتستانتين طبيعة حياة عملية وتحررية، وقد ربطوا بين العمل والعلم والعقل والدين.
- وقد كان هذا مما ساهم بشكل فعال في تطور العلوم الطبيعية في أوروبا الغربية التي تنتهج البروتستانتية عنها في أوروبا الشرقية الكاثوليكية.

معايير التقدم في العصر الحديث (مزايا ومساوئ):

- إن المعايير الأوروبية للتقدم في العصر الحديث ارتبطت بازدهار العلم واحترام العقل وازدراء الأديان في تناقض غريب، حيث إن الدين الحق يدعو لاحترام العقل والعلم.
- ومن ثم كان للتقدم أثاره السلبية في تحجيم دور الدين، وأصبحت الحياة هي كل ما يشغل الإنسان وأصبحت دور العبادة مجرد دور مناسبات لا أكثر.
- هذا الاتجاه ظهر بشكل مبالغ فيه في روسيا والتي قامت فيها الثورة البلشفية والتي جعلت رفض الأديان وازدراءها عقيدة في حد ذاتها وهي الشيوعية.

الحياة الفردية في الحضارة الأوروبية:

- عاش الإنسان الأوربي على المستوى الفردي لأجل نفسه وأسرته فقط وانهارت القيم الأخلاقية تبعاً لذلك.
- لم يعد هناك ما يحمي الفرد وأسرته من وسائل الإغراء والانحلال وأصبحت مفاهيم الحرية الفردية تعني في المقام الأول رفض تعاليم الدين وقيوده وأصبح للمعاني ظاهر وباطن ومن هنا انتشر الإلحاد في دول كثيرة بزعم فضيلة العمل وأهميته، وكان من آثار ذلك اختفاء دور رجال الدين وانتشار العلمانية ولكن في ثوب يتعارض مع القيم ويحاربها.

العلمانية معناها الأصلي واستخدامها الحالي والهدف منها:

- العلمانية في معناها الحقيقي هي احترام العلم والعقل والاحتكام إليهما.
- مع ازدياد الفجوة بين العقل والدين ظهر اتجاه إلحادي قوى ممثلاً في الفكر الماركسي مع ازدياد الرغبة في إنكار كل ما هو متعلق بالروح.

- ونتج عن ذلك قيام دولة عظمى هي روسيا - تمددت مكونة الاتحاد السوفيتي - تؤمن فقط بالمادة وتعمل لأجلها، وكان لتأثير هذا الفكر قيام صراع أيديولوجي، وكان صراعاً بين فلسفة العمل في الكتلة الشرقية والكتلة الغربية، وهذا الصراع كان يحتكم إلى نزعة سياسية تعبر عن رغبة كل طرف في الوصول للتقدم والسيطرة بشكل سريع.
- وقد كان لهذا التباين الفكري بين الكتلتين الشرقية والغربية والصراع بينهما الذي نتج عنه أكبر الأثر في كثير من دول العالم، حيث انقسم العالم فكرياً بين الكتلتين مما حوله إلى طرفين متنازعين حتى تم انهيار الاتحاد السوفيتي.
- لم تكن الحضارة الأوروبية لتقوم لولا بعدها التام عن الأديان ولم يعد هناك بد من الاعتراف بذلك، وقد كان تأثير ذلك على حركة التاريخ الإنساني بالغاً في رفض كل الأديان التي لا تأخذ بنظرية الغرب وفلسفته المادية، وأصبح الإعلام الغربي يقسم العالم إلى أمم متقدمة وأخرى متخلفة، وبالتالي تم تقسيم الأديان إلى أديان متقدمة ومتخلفة، والمؤسف أن أبواق الدعاية الغربية لم تجد من يصحح لها تلك المفاهيم.
- لقد كان لسيطرة الغرب على الدول الأخرى أثره الكامل في إسكات المعارضين والاعتقاد في كل ما هو غربي من فلسفات وعلوم وأديان والفكرة السائدة من أن الديانة المتحضرة في العالم هي الديانة التي تمثل الأمم المتحضرة الأوربية وهي الديانة التي تمثل الغرب.
- ومن هنا ظهرت الفرية التي ظل الغرب يرددها ويروج لها ردحاً طويلاً من الزمن من أن الأديان هي التي توصف بالتقدم ومتناسياً تماماً عصور الجهل والظلام التي غرقت فيها أوروبا حتى بداية نهضتها الحضارية.
- ونظراً لهيمنة أوروبا على كثير من بلدان العالم فقد ساهمت بسياساتها الاستعمارية في تغيير ومحو ما هو في صالح الشعوب وإقرار ما هو في مصلحتها، وبالتالي حجبت عن هذه الشعوب كل وسائل المعاونة على التقدم ونهبت ثرواتها لتظل هذه الشعوب على حالها من التخلف الحضاري.
- وكان لتخلف هذه الشعوب عن الأخذ بأسباب التقدم أثره في تبعيتها السياسية والاقتصادية والثقافية. وفي النهاية أصبحت معايير التقدم والحضارة هي التي صممها الأوروبيون لأنفسهم وفرضوها على العالم كله من وجهة نظرهم دون النظر لاختلافات الشعوب الحضارية والثقافية.

الغرب ولعبة الأديان

هروب الإنسان الأوروبي من :

ثقافة الأديان إلى ثقافة الإنسان حيث الحرية المطلقة بمعناها الإيجابي والسلبي والاستقلالية والعلمانية.

- ثقافة الإنسان

- ثقافة الأديان

- إلغاء مفهوم الأديان ليحل محله مفهوم الإنسانية وبالتالي لم يعد للأديان أدنى دور في حياة الإنسان طالما أن الإنسان هو المنوط به تحقيق السعادة والرفاهية له وللآخرين، وكان التبرير الديني والعقلي هو انتهاء حقبة الأديان وبزوغ عصر الإنسان، حيث رأوا أن الإنسان هو القائم مقام الإله في مغالطة لعبارة الإنسان خليفة الله في الأرض والتي تعنى في الأساس أن يحل الإنسان كل قيم الخير التي أمر بها الله ويمنع كل أسباب الشر التي يمكن أن يجلبها بمخالفته لأوامر الله
- وهذا الفكر قد ثبت فشله على مر السنين حيث اندفع الغرب باسم الإنسانية وباسم حقوق الإنسان والحضارة في إشباع غرائزهم ونهمهم المادى بإقامة المستعمرات واحتلال الدول وسخروا كل غال ورخيص لتحقيق هذا المفهوم، وساعدهم على ذلك تقدمهم العلمى وانهيار الثقافات القديمة وضعف إمكانيات الشعوب الضعيفة، بالإضافة إلى وجود جهاز إعلامى محنك قادر على تزييف الحقائق وقتما يشاء
- ومن هنا كان الغزو الثقافى هو الأداة الضرورية لقيام فكر الهيمنة على تلك الشعوب، حيث أوهموا الشعوب بالإحساس بالمسئولية تجاه البشر، ومن هذا المنطلق قامت فكرة الهيمنة الأوروبية على أساس تحقيق مبدأ حقوق الإنسان
- وكان الغزو الثقافى للشعوب الأخرى من قارات آسيا وإفريقيا هو الوسيلة الناجحة للإيمان بحضارة الغرب، وبالتالي بديانته، فقد كان الغرب أشبه مايكون بديانة جديدة ظهرت مع نهضته الصناعية، ومن هنا كانت الحركة البروتستانتية داعية إلى التجديد في كل شىء بما يناسب مصالحها، وهى التى تزعمت غرب أوروبا وأمريكا في حضارتهم المادية إلى الآن
- وظلت فكرة الاحتلال والهيمنة جزءاً من ثقافة الغرب الحديثة، ففى بداية النهضة الصناعية كانت مفاهيم الحضارة الجديدة تدعو إلى محو الأمية والجهل للشعوب

الأخرى فكان لزاماً على تلك الشعوب أن تخضع لإرادة الغرب الإمبريالي أملاً في التقدم والمساعدة، ولكن الغرب كان يخفي في طي سياساته رغبته في جلب الثروات من تلك البلاد والتي كانت تغذى نمو حضارته المادية

■ وظلت الشعوب المحتلة في إفريقيا وآسيا مصدراً مدرراً للمواد الخام الضرورية لإطالة أمد الحضارة الأوربية إلى أن قامت الثورات التحررية الداعية للاستقلال في آسيا وإفريقيا والتي تكشفت الحقائق أمام شعوبها وأيقنت أنه لا مفر من الاعتماد على النفس وعدم تصديق الدعاية الأوربية التي تهدم ولا تبنى

■ من هذا المنطلق كانت حضارة الغرب هي المهيمنة باسم حقوق الإنسان وحقوق الأقليات والإنسانية والحرية في الواجهة تحت بريق الشمس ولكن في باطنها كانت تخفي الرغبة في البحث عن مصلحتها دون النظر لإيذاء هذه المصلحة للشعوب الأخرى

■ كيف قامت حضارة الغرب الجديدة على الأسس التي ذكرناها سلفاً وهي الحرية المطلقة والعلمانية والاستقلالية؟!

■ وعلى هذا الأساس انطلق الغرب في حرته وثوبه الجديد بعيداً عن قيود الدين ليحقق ذاته مستكشفاً آفاقاً جديدة وثقافات أخرى باحثاً عن الحقيقة متوهماً أنها ملكه وحده Truth is one

■ ومن هنا كان نهمه للعلم والمعرفة وحب الحقيقة نابعاً عن خوائه الروحي الناجم عن حضارته الجديدة المادية، وانقسم الغربيون إلى من احترم الحقيقة منهم وأصبح منصفاً في تعامله مع الشعوب الأخرى محترماً عقائدهم، ومنهم من سيطرت عليه النزعة العنصرية فعبر عن ازدرائه لمن هم أقل منه علماً وتقدم، وبالتالي أصبحت الدول في تعاملها مع الدول الأخرى تقيسها وتميز بينها على أساس التقدم المادي التقني، وقسمت الدول إلى:

١ - دول متقدمة ٢ - دول نامية ٣ - دول متخلفة

■ وأصبح التعامل مع الشعوب بدرجات متفاوتة من الاحترام على هذه الأسس، ولا يمكن أن تكون هناك دول متقدمة دون أن يكون بها نهضة علمية ونظام متقدم من التعليم (دون نسبة أمية) بالتالي قامت العلاقات الدولية على أساس هذا التقسيم، ولا يمكن أن تكون هناك دولة ذات سيادة دون أن ترتكز على التفوق العسكري (سلاح نووي)، وعلى هذا الأساس يكون لها القرار المسموع في المحافل الدولية وهذا ما نراه الآن.

نظرة ختامية للحضارة الأوروبية

■ ومن هنا يتبين لنا أن ما نادى به أوروبا في مطلع القرن السابع عشر من شعارات كان لها ظاهر حضارى وباطن استعماري وهذا مما يؤكد لنا بما لا يدع مجالاً للشك أن الحضارة الأوروبية المادية فشلت في احتواء الإنسانية لقيامها على مبادئ نفعية تفرق بها بين الدول تبعاً لتقدمها وتأخرها في ظل سياسات تنتهجها إلى يومنا هذا ولولا هذه السياسات ما قامت عنصرية على أسس عقائدية أو عرقية أو لونية مثلما هو الحال في فلسطين وجنوب إفريقيا والبلقان، ونخلص من هذه المقدمة إلى أن الحضارة في مفهومها العالمي لا تعنى التقدم التقنى والمادى فقط ولكنها تعنى :

١- المساواة بين الشعوب دون تمييز على أساس اللون أو العرق أو العقيدة

٢- التعارف والتعاون بين الشعوب لإقامة حضارة إنسانية راقية

■ وهذه الجذور الحضارية التي نبتت في عصور سابقة ساهمت بما لا يدع مجالاً للشك في ارتقاء كل شعوب الدنيا وأكبر دليل على ذلك تأثير الثقافة العربية الإسلامية على أوروبا وثبات هذه المعارف والعلوم العربية في دوائر المعارف الأوروبية إلى يومنا هذا سواء في الكيمياء أو الرياضيات أو الطب أو في الفلسفات والعقائد، وليس هناك إنسان منصف ينكر فضل الحضارة العربية الإسلامية على أوروبا في شتى المجالات

قصة نشأة حضارة اليابان

■ كان لحضارة اليابان ظروف وملايسات تختلف عن مثيلاتها في أوروبا وآسيا وإفريقيا

- بداية العصر الحديث في اليابان عام ١٨٦٨ م

- بداية العصر الحديث في أوروبا ١٦٠٠ م

■ كانت بداية دخول اليابان للعصر الحديث متأخرة جداً بالنسبة إلى أوروبا ولكي نتعرف على اليابان وعصرها الحديث لابد من إلقاء الضوء على الفترة التي سبقت انفتاح اليابان على العالم الخارجى والتي يطلق عليها تاريخياً اسم (عصر العزلة) Sakoku

- وأيضاً الفترة التي أعقبت عصر الانفتاح على العالم الخارجى والتي يطلق عليها (عصر الانفتاح) kaikoku

■ وهذه الفترة التي عرفت باسم Sakoku لم يكن لليابان فيها أى علاقة بالعالم إلا من

خلال الصين والتي كانت بمثابة الأم للحضارة اليابانية والتي استقت منها اليابان كل علومها ومعارفها بداية بأسلوب المأكل والملبس والبناء والتشييد حتى اللغة المكتوبة .

Kanji

وقد كانت البعثات الدراسية توفد إلى الصين لدراسة العلوم والديانات مثل علم التنجيم والتعاليم الكونفوشيوسية وكل أنواع الفلسفات والديانات الصينية بل إن البوذية الهندية دخلت إلى اليابان عن طريق الصين وقد نجح المجتمع الياباني في تحويل جميع العلوم والديانات التي تم استقدامها بما يتلاءم مع عادات اليابانيين وطابعهم. لقد ظلت اليابان على هذه الحال ردها طويلاً من الزمن مقفلة أبوابها على العالم الخارجي في عصر طويل امتد حوالي مائتين وستين عاماً، وعرفت هذه الفترة باسم عصر (طوكوجاوا) أو عصر إيدو

ولقد احتفظت اليابان في خلال هذا العصر بكل ماتعلمته من الصين ووطورت حياتها السياسية والاقتصادية طبقاً للمعايير اليابانية والصينية وعلى هذا الأساس ظلت اليابان طيلة هذه المدة حبيسة أفكارها وتقاليدها وعاداتها في عصر تقدمت فيه الميكنة وتغير العالم وهيمنت القوى الأوروبية على معظم دول آسيا وإفريقيا باستثناء اليابان والتي أغلقت أبوابها على العالم الخارجي لحكمة مردها الخوف من المساس بهيبة الإمبراطور وشرعيته إلى أن بدأت الأخبار تترامى إلى أسماع قادة اليابان بهزيمة الصين في حرب الأفيون (١٨٤٢م).

ولقد كان رد فعل هذه الأخبار في اليابان مخيباً لآمال المثقفين المتعصبين لانتهااتهم الثقافية وأهمها توقيير الصين وحضارتها وكان لهذا النبأ من ردود الأفعال على المستوى السياسي ما زعزع الثقة في النظام الحاكم وقدرته على حماية استقلال اليابان والدفاع عن رموزها الممثلة في الإمبراطور وعائلته، ولم يكن هناك بد من إعادة التفكير في طريقة التعامل مع المتغيرات الدولية والتهديدات التي وصلت إلى مشارف العاصمة اليابانية.

ولقد تمثلت هذه التهديدات في زيارة الأسطول الأمريكي بقيادة (الأدميرال بيريه) وطلبه من السلطات اليابانية فتح الموانئ للأسطول الأمريكي للتزود بالوقود فطلبوا منه مهلة لمدة ستة أشهر للرد عليه فغادر الأسطول الأمريكي إلى الصين.

■ بينما دار جدل واسع في اليابان حول جدوى فتح أبواب اليابان على العالم الخارجي وأثر ذلك على القيم اليابانية، وكانت المخاوف من فتح أبواب اليابان على العالم الخارجي تنحصر في :

١- الخوف من زعزعة الثقة في النظام الإمبراطوري.

٢- كشف عورات اليابان أمام الدخيل الأجنبي أي كشف مظاهر التخلف الحضاري المختلفة في اليابان

■ وقد كان لزاماً على السلطات اليابانية في ذلك الوقت أن تتعامل مع الواقع الخارجي بحكمة عالية للخوف من تعرض الاستقلال الياباني للخطر

■ وقد كانت هناك أسباب دفعت حكام اليابان إلى الرضوخ لمطالب الأسطول الأمريكي وقبول فتح موانئ اليابان للملاحة الدولية ولتزويد السفن بالوقود، وكان هذا هو الحب الأول بين اليابان والغرب

■ كانت هذه السياسة هي المخرج الوحيد لليابان من حياة الفقر والجهل والمرض التي كانت سوف تنتج عن احتلال أمريكا لليابان، وقد بدأت تيارات الفكر الياباني تنقسم بين مشجع ومعارض، وبين وصولي ومنتزعي، ولكن رغم اختلافهم اتفقوا جميعاً على إعلاء مصلحة اليابان القومية فوق اختلافهم لحبهم الشديد لليابان.

■ وحب الوطن عند اليابانيين ليس له حدود، وقد استمد جذوره من حب الأرض وما عليها وكل ما هو ياباني في نظرهم يستحق التقديس.

■ وقد عرف هذا العصر الجديد المصاحب لانفتاح اليابان على العالم باسم عصر (ميجي) وهي تعني الحكم المستنير نسبة للإمبراطور (ميجي)

■ وقد كان هذا العصر بداية انفتاح اليابان على أوروبا ومع فتح موانئ اليابان وظهور الإنسان الأوروبي الأبيض بدأ اهتمام اليابانيين بدراسة اللغات الأوروبية يزيد، وكانت الحاجة لوجود مترجمين في الوكالات الدولية اليابانية التي تتعامل مع العنصر الأجنبي تعاملاً رسمياً، وكان لهذا الاحتكاك المباشر بين الأجانب واليابانيين أثره البالغ في ازدياد اهتمام المثقفين الراغبين في تعلم وفهم الثقافة الغربية وكانت هذه هي البداية الحقيقية للاتصال بثقافات الغرب.

■ وقد كان هؤلاء المترجمين الذين تعلموا اللغات الأوروبية في وقت لم يكن فيه لليابان أي

صلة بأوروبا وأخبارها إلا عن طريق الصين دوراً رائداً في نقل الثقافة الغربية إلى اللغة اليابانية نقلاً حرفياً وبالتالي كان لهذا النقل الحرفي عن الغرب جوانب سلبية تؤكد عدم فهم اليابان لحقيقة ما يدور في العالم.

وقد بدأت الحكومة اليابانية في تغيير سياستها الخارجية بما يتفق ومصالحها الوطنية ممثلاً في إرسال وفد حكومي ياباني إلى أوروبا للتعرف على حضارة الغرب، وكان لهذه الزيارة أثر قوى في تغيير سياسة اليابان واهتماماتها بالعلاقات مع أوروبا، وقد كانت هذه البعثة برئاسة تاكاكورا وهو رئيس وزراء اليابان آن ذاك.

رحلة بناء الحضارة

لقد بدأت اليابان فقيرة في مواردها الطبيعية وفي مستواها الحضاري، وهما شرطان لازمان لقيام أية حضارة حديثة فالحضارة الحديثة قامت على الموارد الطبيعية والعلم.

ونظراً لأنها كانت تفتقر إلى كلاهما فقد كان لزاماً على الحكومة في عصر مييجي أن تنتهج سياسة خارجية مرنة وحكيمة تقوم على أسس قوية لكي تحقق أهدافها الوطنية وأهمها هو المحافظة على استقلال اليابان وعدم وقوعها تحت برائن الاحتلال الغربي.

وعلى هذه الأسس انطلقت اليابان لتبني دولة حديثة على نسق غربي ورفعت شعارات قومية أهمها:

(١) الحضارة والتنوير :

(٢) إثراء الدولة وتقوية الجيش :

(٣) علم غربي وروح يابانية

ولقد كان لهذه الشعارات أثر بالغ في إلهاب حماس اليابانيين واتجاههم نحو العصر الجديد يؤازرهم في ذلك حب الوطن (Aikokushin) وحب الإمبراطور وهو الرمز المقدس على المستوى الروحي والقومي وعلى المستوى السياسي والعقائدي.

والإمبراطور من وجهة نظر اليابانيين هو سليل الآلهة المنتقلين، ومن هذا المنطلق توحدت الأمة اليابانية تحت شعار الإمبراطور الإله والحاكم في آن واحد، ولقد كان لهذا الاعتقاد الأسطوري عند اليابانيين مغزى عميق في وحدة اليابان الروحية والشعورية والوطنية.

ومن هذا التوحد النوعي والعقائدي كانت اليابان نموذجاً مثالياً غير مسبوق في تاريخ

- الإنسانية، حيث الطاعة العمياء والولاء التام والانتماء والثقة المتبادلة، وقد كان لهذا أثره الفعال في إنجاز المهام الوطنية التي رفعتها حكومة اليابان في عصر مييجي، فالكل يعمل حباً في اليابان وحرصاً على مصلحتها وطاعة للإمبراطور الذي هو ولي نعمتهم.
- ونظراً لأن عقيدة العمل عند اليابانيين استمدت شرعيتها من تلك القيم الروحية الراسخة في وجدان كل ياباني، فقد كان لذلك أثره البالغ في سرعة إنشاء حضارتهم الجديدة فلا يمكن مقارنة حضارة اليابان الحديثة ومثلتها في أوروبا من خلال عامل الزمن، حيث قامت حضارة اليابان خلال ستين عاماً في عصر مييجي.
 - ولكن لكل حضارة مثالبها فالإنسان هو الذي يحكم هذه الحضارة بعقله وأهوائه وعواطفه.
 - ومما يؤخذ على الحضارات الحديثة أنها ركزت قوة الإنسان في عقله وتجاهلت القيم الروحية واستخفت بها، فكان لزاماً على البشرية أن تدفع ثمن الغرور الناجم عن التفوق في مجال الميكنة والعلم، فقامت حربين عالميتين كبيرين أدتا إلى خسائر بشرية ودمار إنساني لا مثيل له.
 - أما اليابان فرغم أنها قد حققت نموذجاً غربياً في آسيا في حقبة زمنية قصيرة وأصبحت أشبه ما يكون بنجم منير في سماء حالكة حيث كانت آسيا تعاني من تخلف حضارى وروحي لا مثيل له في أى مكان، هذا التخلف الحضارى كان يقف وراء عادات الشعوب وخرافاتهم في الحياة وفي الممات، كان يعوق مسيرة التقدم الحضارى، إلا أن اليابان اختارت النموذج الذى يناسبها عند بناء مدينتها الحديثة.
 - فقد كان على رجال الحكم في ذلك الوقت أن يفاضلوا بين الاستقلال التام أو التبعية للغرب تحت سيف الاحتلال، فاختاروا الاستقلال والتعامل مع الغرب بمنطق التابع والمتعلم، فقد أيقن ساسة اليابان بمدى ضعفهم وتخلفهم بالمقارنة بقوة الغرب وكان لزاماً عليهم أن يتعاملوا مع القضية بواقعية، والأخذ بالأسباب التى تعينهم على التقدم والخروج من وهدة التخلف الحضارى، فلم يجدوا سوى إصلاح نظام التعليم المبني على الفكر الصينى الكونفوشيوسى (Kangaku)
 - أما العلوم التطبيقية فلم يكن يتعلمها سوى الحرفيين أو القلة من الصفوة ومن هذه الظروف والأوضاع المتردية بدأ المثقفون في الانقسام إلى فريقين.

- كان الفريق الأول يدعو إلى دراسة علوم الغرب وحضارتهم ويتتقد أحوال اليابان وتختلفها أمام أساطيل الغرب، والفريق الآخر يدافع عن القيم الكونفوشوسية الراسخة في أعماق الشعب الياباني ويخشى من انهيار هذه القيم ويدعو إلى طرد البرابرة الأجانب والتمسك بطريق الإمبراطور، وكان الفريقان يعبران عن آرائهما من خلال الصحف والمجلات الثقافية في ذلك الوقت، وأهمها مجلة السادس من ميحي (Meiroku-Zasshi) التي كان يكتب فيها مثقفو اليابان.
- وكانوا يعبرون عن حيرة اليابان وقلقها في ذلك الوقت وإحساسها بالتخلف أمام قوة الغرب، وكان لهذه المجلة دور بارز في التعريف بحضارة الغرب وتنمية الوعي الثقافي والتعليمي في آن واحد، وكان المنتمون لهذه المدرسة يطلق عليهم أنصار المدرسة الغربية (Yogaku-Sha) أما الفريق الذي ينتمي إلى الكونفوشوسية ويدافع عنها كان يعرف باسم أنصار المدرسة القومية (Kokugaku-Sha) ولكن رغم اختلافهم فقد كانوا جميعاً يعملون من أجل المصلحة الوطنية.
- وقد كان لهذا الانقسام دوره في إثراء روح العمل والبحث عن أفضل السبل لتقوية اليابان ونهضتها.
- وكان لهذا النمط من الخلاف دور مهم في زيادة الانتباه لليابان، وكان الدفاع عن القيم أهم القضايا التي ثارت في عصر ميحي في مجتمع مغلق له تقاليد موروثية وأخلاق تعبر عن الرفض للتغيير، إلى أن هبت رياح التغيير الاضطرابية وحتمت عليهم التعامل مع المتغيرات الجديدة بعقل متفتح دون التضحية بما هو كائن.

الظروف والدوافع النفسية التي كانت

وراء نجاح اليابان في الدخول في زمرة الأمم المتقدمة

لقد كان هناك الكثير من الدوافع النفسية التي وقفت وراء نجاح اليابان في التغلب على عوامل الضعف والتخلف والفقر ومن أهمها على الإطلاق عامل الخوف من الوقوع تحت الهيمنة الغربية وهي التي لم يسبق لها التعرض لأي غزو خارجي أو احتلال أجنبي حيث أحاطت بها ظروف جغرافية وسياسية منعت وقوعها تحت أي احتلال أجنبي :

١- فقد كانت مجموعة من الجزر المتناثرة التي تقع في المحيط الهادى مما جعل الوصول إليها بغير السفن أمراً مستحيلاً، ناهيك عن أنها تظهر كجزر غير مأهولة عند النظر إليها من السفن التي تسير في البحر، ومن هنا جاء اسم اليابان القديم (Wakoku) والذي تحول إلى الاسم الحديث (Nippon) والذي يعنى الشمس المشرقة.

٢- بالإضافة إلى العزلة اليابانية المفروضة على اليابان ممثلة في الانغلاق (Sakoku) الذى استمر حوالى ٢٦٠ عاماً ولم تكن هناك علاقات بين اليابان والدول الأخرى سوى علاقتها بالصين والتي كانت تمثل مركز الإشعاع الحضارى والاقتصادى في المنطقة والتي استقت منها اليابان حضارتها، بالإضافة إلى بعض العلاقات التجارية بينها وبين الصين والهند.

كان من الظروف المحلية التي أحاطت بدخول اليابان عصر الانفتاح والنهضة :

١- الخوف من الاحتلال عند قدوم الأسطول الأمريكى.

٢- قلة خبرة اليابانيين في التعامل مع الغرب جعلتهم في حذر دائم من الوقوع في أخطاء سياسية قد ينتج عنها فقدانهم لاستقلالهم.

٣- وأيضاً عدم وقوع اليابان تحت أى حكم أجنبي جعل اعتزاز اليابانيين بقوميتهم حدأ يفوق العقل، وقد أدى هذا إلى تعاملهم مع الواقع بشيء من الحذر.

بناءً على هذه الظروف الدولية التي أحاطت باليابان وأدت إلى فتح أبوابها على العالم الأوروبى والغربى فإن الإحساس بالنقص تجاه كل ما هو غربى وأوروبى كان واضحاً في سياسة اليابان، وقد وجهها هذا إلى نقل كل ما يتعلق بالحضارة الغربية بدءاً من النظم السياسية وأسباب نهضة الصناعة والتعليم، مما ساعد بدوره في سرعة نقل المعارف الغربية إلى

اليابان، وبالتالي تطور التعليم على أسس غربية كان له دوره في تطور الصناعات والميكانيكا، وبقية اللغة والدين في ركن صغير يمثلان عائقاً حضارياً أمام اليابان إلى يومنا هذا.

أما الدين فظل شكلياً لا يخدم في تطوير الإنسان العصري وأصبح مجرد طقوس شكلية مستخدمة في اليابان وظل يمثل مشكلة أمام اليابان خاصة أن الغرب قد اعتبر أن الدول التي لا تدين بديانته دول متخلفة، وظلت الدعاية الغربية تستخدم هذا السلاح للتقليل من شأن الديانات الأخرى سواء كانت متقدمة أو متخلفة، حيث كان التقدم والتأخر في نظر الغرب هو إما أن يسير الإنسان على نهجهم وبهذا يكون قد حقق التقدم أو يصبح متخلفاً، وظل المستشرقون الغربيون يقيمون نظريتهم في الفلسفة والدين على أسس من التحيز العنصري. ولكن استطاعت اليابان أن تثبت أن التقدم لا يمكن أن يكون وليداً لعقيدة معينة ولكنه وليد الأخذ بأسباب التقدم من تعليم ومعرفة.

وقد انهمكت اليابان في تطوير ذاتها بحكمة عالية وذكاء منقطع النظير وخابت توقعات الغرب في خضوع اليابان وتبعيتها حيث سارت اليابان في اتجاهين متوازيين :

أولاً : إصلاح النظم السياسية والاقتصادية بما يتماشى مع لغة العصر.

ثانياً : تطوير ما لديها من نظم تقليدية دون التفريط فيها.

وقد أخذت اليابان بأسباب الحضارة الغربية العلمية والاقتصادية والسياسية مع الاحتفاظ بما لديها من تراث وحضارة والحفاظ عليها.

فلقد ظلت الصناعات التقليدية القديمة محل اهتمام من الحكومات على التوالي واحتفظ اليابانيون بطريقة معيشتهم التقليدية من مأكلاً وملبس وأقاموا طقوسهم واحتفالاتهم الدينية بشكل ينم عن الاحترام والاعتزاز بكل ما هو قديم وتطوير الشكل بحيث يناسب العصر، وانطلاقاً من هذه العقلية احتفظت اليابان بتراثها الروحي تطبيقاً لشعارها علوم غربية وروح يابانية (Washin Yosai) واندفع اليابانيون في تعلم كل ما هو غربي نافع كل في مجاله دون التفريط في حياتهم الخاصة، ونهلوا من المعارف الغربية كالمعتاد إلى الماء يعبه عباً، ونظراً لشعورهم بأن حضارة الغرب المادية هي حضارة فعلية، فرأوا أنه يجب عليهم الوصول لنفس المستوى، وظلوا في سباق مع الزمن وساعدهم على ذلك انهماك الغرب في حروبه التوسعية دون أن يشعر بوجود منافس له، ومن هنا لعبت الشخصية اليابانية دوراً فعلياً في تسهيل حصول اليابان على العلوم الغربية دون أن يستشعر الغرب الخطر من هذه الحضارة الناشئة،

حيث لعبت الأخلاق الكونفوشيوسية والتقاليد اليابانية التي تربت في البيئة اليابانية دوراً في قبول الغرب لليابان دون إحساس بخطرهما، فقد ظلت اليابان على مدى عقود طويلة لغزاً محيراً بالنسبة للمثقف الغربي، ومن هنا جاءت التسمية للشخصية اليابانية المتفردة (Yunik) التميز والغرابة والتفرد.

وقد بحث الغرب في جوانب الشخصية اليابانية والنظام الاجتماعي والأخلاقي فجاءت نتيجة هذه الدراسة الانبهار بالروح اليابانية، والذي كان أحد أسباب استعداد الغرب لتسهيل حصول اليابان على المعرفة الغربية. وقد كان للتقاليد اليابانية الراسخة دور فعال في تشجيع التعليم ولم يكن هناك ما يمنع من تطوير البيئة اليابانية بما يتناسب وحاجات اليابان. كان حب الطبيعة عند اليابانيين وتقديسها اتباعاً للتقاليد البوذية بمثابة الدين، حيث اعتبر اليابانيون أن كل ماهو ذو روح داخل بيئتهم اليابانية يستحق التقديس ويمكن أن يطلق عليه إله (Kami) لذلك حافظ اليابانيون على بيئتهم الطبيعية لاعتقادهم بوجود أرواح مقدسة تحميهم من الشرور وتجلب لهم النفع والسعادة، من هذا المنطلق ظلت العقائد اليابانية الموروثة القديمة على حالها دون تغيير، وحافظ اليابانيون على بيئتهم الجميلة لإيمانهم بها.

الإمبراطور وتأثيره في الفكر الياباني

الإمبراطور هو رمز الأمة وممثل الآلهة في الدنيا، قد نتج هذا الفكر عن كتاب الأساطير الياباني الشهير المعروف باسم كوجيكي (Kojiki) وقد استوحيت هذه المعاني والصور من هذا الكتاب الذي يصور قصة خلق اليابان وميلاد الآلهة التي لا بد وأن تلتقى نسباً وعرقاً بعائلة الإمبراطور.

رأى اليابانيون على مر الأجيال أن الإمبراطور هو الوريث الشرعي للآلهة وهو الحاكم المؤله على مدى قرون طويلة إلى أن هزمت اليابان في الحرب العالمية الثانية وتم تعديل الدستور الياباني وطمس هذه الفقرة التي تنص على ألوهية الإمبراطور، وأصبح الإمبراطور في حكم الدستور، مالك وحاكم البلاد كإنسان عادي له ما لهم وعليه ما عليهم ولم يعد له علاقة بالسياسة.

- لكن هل انتهت صورة الإمبراطور المؤله كلية من فكر اليابانيين؟!!!

كلا بل ظلت هذه الصورة الرمزية للإمبراطور محل تقدير وتقديس واحترام الشعب الياباني على اختلاف طبقاته وأصبح هو المرجع الروحي والعاطفي لكل مناسبة قومية في اليابان.

وانتهت أسطورة اليابان العسكرية بعد هزيمتها في الحرب العالمية الثانية بعد أن ارتكبت الكثير من المآسى في حق الدول الآسيوية، وأصبحت اليابان تابعة للحكم الأمريكى سياسياً وعسكرياً.

ولكن الروح اليابانية المؤمنة بوجودها وتفوقها لم تمت، فانتهزت اليابان فرصة الحرية الاقتصادية التى يسمح بها الغرب لتدخل مجال المنافسة التجارية وتحتل المركز الأول بين الدول المتقدمة وتصبح المنافس الحقيقى للغرب فى آسيا، ولكن تحت سمع وبصر الحلفاء، ولم يعد لليابان قوة عسكرية تهدد جيرانها الآسيويين أو الأوروبيين.

إلا أن شعلة الروح اليابانية لم تنطفى ووجد اليابانيون أنفسهم فى منافسة علمية وتكنولوجية، وازدهر الاقتصاد اليابانى لتصبح اليابان المصدر الأول للتكنولوجيا فى العالم، وتمتد أمريكا بما تحتاجه من أنواع التكنولوجيا المتقدمة سواء العسكرية أو الفضائية أو الإلكترونية، وهذا دخلت اليابان إلى حلبة المنافسة الاقتصادية وأثبتت وجودها كقوة اقتصادية عظمى، واستخدمت كل ما هو متاح من قوانين التجارة الحرة ونجحت فى اختراق الأسواق، الأوروبية والآسيوية والإفريقية لتحقيق أعلى معدلات الربح المادى والهيمنة على الأسواق ولتصبح الشريك المنافس الوحيد لأمريكا وأوروبا، ولم يعد للغرب مفر من الاعتراف بقوة اليابان الاقتصادية والعلمية، والتفوق النوعى للجنس اليابانى الذى لا يقل ارتقاءً عن الجنس الأوروبى، أثبتت اليابان للعالم أنها قوة لا يستهان بها واعترف العدو قبل الصديق بقوة اليابان وهيمنتها على العالم لتسترد كرامتها وتعلن انتصارها على الغرب فى معركة البناء.

ولكن هذا الإحساس بالتقديس لإمبراطورها جعل اليابان من وجهة نظر الغرب دولة متطرفة تحكمها تقاليد وعقائد تجعل منها دولة رافضة للتعامل مع الغرب طبقاً لمعايير الغرب. أى دولة قومية متطرفة Ultra nationalism

نظام التفكير عند اليابانيين

لماذا لم تتجاوب اليابان مع المفاهيم الغربية بالسرعة المطلوبة ؟
هذا يرجع فى المقام الأول إلى نظام التفكير والاعتقاد وفلسفة الحياة التى تحكم كل منطقة، فاليابان تقع فى أقصى شرق آسيا وهى واقعة تحت تأثير الثقافة الصينية ممثلة فى الفضائل الكونفوشوسية التى تحكم علاقات الأفراد بعضهم ببعض، وتلك الفضائل

الأخلاقية جعلت علاقة الأفراد بالحكام علاقة أخلاقية توجب الطاعة العمياء والولاء المطلق لمن يعلو أو يحكم بغض النظر عن معاني الحقوق الفردية أو المساواة والعدل التي تحكم ثقافة الغرب.

الفضائل الخمس (Gokyo)

وتضم خمسة معايير أخلاقية تعبر عن القيم الاجتماعية والسياسية بين أفراد الشعب وهي:

١- العلاقة بين الحاكم والمحكوم في مجال السياسة.

٢- العلاقة بين القائد والجندي في ساحات الحرب.

٣- العلاقة بين المعلم والتلميذ في مجال العلم.

٤- العلاقة بين الزوج والزوجة في مجال الأسرة.

٥- العلاقة بين الأب والابن في مجال الأسرة.

وتلك الفضائل هي التي حكمت الصين منذ فجر التاريخ أو منذ مولد كونفوشيوس، إلى أن دخلت الصين الحقبة الشيوعية، وتأثرت اليابان بأفكار كونفوشيوس وتلاميذه حينما نقلت هذه الفلسفة، وكان لهذه الفلسفة الفضل في استطاعة حكام اليابان السيطرة التامة.

- حيث إن الأصل في الكونفوشيوسية هو الحكم باسم الأخلاق، وهذه المعايير الأخلاقية هي التي حكمت المجتمع الياباني على مدى قرنين من الزمان ليتربى اليابانيون على الطاعة والولاء والإخلاص لمن يعلوهم في المقام، ففي مجال السياسة نجد الشعب مدين بالولاء لحكامه، وفي مجال العلم يدين التلميذ لمعلمه، والزوجة مدينة بالولاء والإخلاص للزوج، ولقد تولدت هذه التبعية نتيجة للأخلاق اليابانية، وظلت هذه القيم تحكم المجتمع الياباني فترة طويلة من الزمن حتى فتحت اليابان أبوابها على العالم الخارجي وتخلت عن النظام الأخلاقي الكونفوشيوسي ليحل محله نظام التفكير الغربي في مجال السياسة والاقتصاد، ولكن في نظام المجتمع حافظت اليابان على ما لديها من قيم أخلاقية وتمسكت بها إلى يومنا هذا لتصبح اليابان عبارة عن نظام غربي رأسالي ممثلاً في السياسات الاقتصادية والتعليم ونظام أخلاقي ياباني ممثلاً في التقاليد والقيم، وخلق هذا نوعاً من الازدواج في المعايير خدم قضية التقدم اليابانية بشكل مثير للعجب، فالروح اليابانية ممثلة في الأخلاق هي التي حافظت على تماسك الأمة، وظل المجتمع الياباني متمسكاً رغم تقدمه الاقتصادي تحكمه قيم الماضي وضرورات الحاضر، ولولا ذلك ما استطاعت اليابان أن تصل إلى ما وصلت إليه من قوة وحضارة.

البوشيدو

البوشيدو (روح اليابان)

من الدراسات التي حظيت باهتمام الدارسين الأجانب نجد موضوع "البوشيدو" كنظام أخلاقي.

إن نظرة خاطفة على تلك الأحداث تعطينا كماً هائلاً من المرارة والمعاناة التي واجهت مفكرى هذه الأمة الجزرية ومثقفها. فلقد كان هناك نوع من الاعتقاد لدى تلك الطائفة بأن اليابان أو (دولة ياماتو) محفوفة بعناية الآلهة وأن تلك الآلهة كافية لحفظ دولتهم وتبعاً لذلك فإن الولاء لتلك الدولة وعظمتها يعنى منتهى رضى الآلهة. وفوجئت اليابان بوجود عصر جديد تسيطر عليه الميكنة والآلة، وأن باب الخرافات ممنوع وغير مسموح به.

نعم ساد وجوم وغيره على روح اليابان التي تربي عليها هذا الجيل من اليابانيين، وهو جيل عصر مييجى - نسبة للإمبراطور مييجى - لقد سادت الأفكار الكنفوشوسية بكل ما تعنى من الولاء والطاعة لرجال السياسة، والاحترام والتقديس لأهل العلم وبالطبع هم أصحاب المدرسة الكنفوشوسية ولا غير.

ومع انبعاث روح العلم الحديث وما نجم عنه من ظهور أصحاب المدرسة الغربية (يوجاكو) فقد خفت حدة التعصب لأنصار الفكر الكنفوشوسى المعروفة باسم (كانجاكو) وبين أصحاب هاتين المدرستين تولدت نظريتان في الفكر اليابانى الحديث إحداهما تؤيد النظرية الحديثة في العلم ولكن من خلال آراء كنفوشوس أو تلاميذه، والأخرى ترى نقد ذلك والخروج عن المدرسة الكنفوشوسية، واحترام روح العلم الحديث القادم من أوروبا والغرب. نعم كان هناك أشبه باستحالة التوفيق بين أصحاب هاتين المدرستين، وساد عداة وكراهية بين تلامذة وأساتذة هاتين المدرستين أدى ذلك بدوره إلى خلق نوع من الصراع بين المثقفين والمتعلمين ترك أثراً واضحاً في علاقاتهم العلمية والعملية.

نعم هناك انبهار بكل ما هو جديد ورغبة في فهم ذلك وإتقانه، لكن هناك خوف من نسيان روح الماضى بكل ما تحمل من حب وولاء غير مفهوم. حقاً إنه حب البقاء على تراث الماضى وإن لم يكن هناك نفع من وراء ذلك أو تقدم في أساليب الحياة العصرية. نعم يأتى على إنسان حين من الدهر يكره التغيير ولو إلى الأفضل، لأن ذلك يكلفه أحياناً كرامته وكبرياءه اللذين يحافظ عليهما دائماً.

إن مراحل التحول في حياة الشعوب دائماً ما تمر بمعاناة لا حد لها، فإن الألفة والاعتقاد تحولان دون السرعة في التحول إلى الأحسن، وقد لا يكون التحول معناه التحول إلى الأحسن ولكن على أي حال كان التحول ضريبة تفرضها الأقدار على الشعوب والأفراد. إن الحديث عن مجتمع البوشيدو (الساموراي) من خلال كتاب (البوشيدو) لـ أنازوا نيتوبيه (١٨٦٢-١٩٩٣) يعطينا إيحاء بأن المؤلف يريد أن يضيف هالة من القدسية النرجسية على مجتمع الساموراي الذي ينتمى بالطبع إلى أجياله.

لقد كانت تقاليد البوشيدو تُفرض على حياة المثقفين اليابانيين حتى في تجواهرهم خارج اليابان. نعم فالسيف والزي التقليدي لرجال الساموراي كانا من أهم ما يعتز به الرجل ولا يقبل التنازل عنهما.

نعم قد لا يسمع المثقف العادي عن الفروسية بمعناها الممتدتي وذلك لأنها لا تتمخض عن بطولة مرئية وواقعية. ولكن المؤلف نيتوبيه يستعرض معنا في كتابه تلك الروح الباقية من فروسية أجداده التي ظلت تحمي جزر دولتهم وتهمين على زمام الأمور.

إن روح الفروسية التي تناوها المؤلف في كتابه من النوع الذي لا تضاهيه كلمة ولا يستسيغه دارس، إنها روح اليابان التي يفهمها فقط أبناء اليابان.

لعلني أردت من هذه المقدمة أن أعرف القارئ العربي بشيء لم يعهده من التاريخ الإنساني فقد أضاف تعليقي بعض الخلفيات التاريخية والثقافية عن نمط فريد من أنماط الفكر الإنساني غير المدون. نعم لقد حرص اليابانيون - شأنهم في ذلك شأن أبناء الشرق - على جعل ذلك سرّاً من الأسرار حتى لا تفنى روح هذا العلم ولو فنى رجاله.

تعجبت كثيراً من حب العزلة وشعار التدين عند اليابانيين إنه حب من أجل اليابان، وتدين لا يدين سوى بروح الانتماء إلى أرض وجنس اليابان. إنه حب لا يختلف عليه اثنان لأنهم لا يحبون الاختلاف ويميلون إلى الائتلاف وعدم التصادم بالرأى... نعم أنها روح اليابان.

ومن ثم المعانى التي تمثل قيمة مطلقة أو قيمة نسبية لأبناء ذلك العصر. ونظراً لأن موضوع المؤلف هو (صراع القيم بين القديم والجديد)، فإن القارئ العربي قد لا يستوفي حظه من الفهم لمجرد قراءة ترجمة (البوشيدو) الحالية.

وسأحاول في هذه السطور إضفاء مزيد من الضوء على الجوانب التي أغفلها المؤلف وبالتالي غمضت على القارئ أيضاً مما جعل الفهم لا يسير في سلاسة وروية.

ومن أهم تلك الجوانب نجد الجانب التاريخي في فلسفة البوشيدو ولعل ذلك يحتاج إلى معرفة تاريخ ظهور تلك الطائفة وكذلك التطورات التي طرأت على أسلوبهم في الحياة ثم أخيراً مدى فهم المؤلف لتلك التطورات.. ولعلني في حل من التحدث عن نشأة البوشيدو الأولى وذلك لأنه يستغرق مني مئات من الصفحات، وسأكتفي بعرض وتحليل القيم الخالدة التي أرسنها البوشيدو وغزت روح اليابانيين بها مما جعل المؤلف يشيد بمحياهم فضلاً عن مماتهم.

وربما اليابان - دولة ياماتو - هي من الدول النادرة في قلب آسيا التي حظيت باهتمام الدارسين الأجانب واستولت على رغبتهم وذلك لأن كثيراً من الآثار والطلاسم التي أضفاها حكام تلك البلاد عليها جعل فهم حقائق التاريخ من الصعوبة، بل ومن المرارة أيضاً.. فكثيراً ما تكون اللغة عائقاً صلباً يحول دون فهم ذلك، وبالتالي يعمى على الدارس التغلغل في كنه الفكرة، أو حتى العلاقة بين الإنسان وتلك الفكرة.. كذلك نجد أن عدم خضوع اليابان لقانون سهاوى واحد يهتدى به أبناؤها جعل دراسة الواقع فقط شيئاً مملاً وغير مجد... فالماضي هو زخر كل أمة ونبضها السارى إذ لا مفر من طرق أبواب الماضي ومحاولة فتح ملفات التاريخ للتعرف على طبيعة تلك الأمة الجزرية التي لا يبدو لأول وهلة أن هناك تبايناً في طريقة حياتهم وأنماط سلوكهم... ولكن ما هي إلا لحظات حتى ينكشف المخبوء وتدرك بنور العقل أن هناك ستاراً كثيفاً من التعتيم على حقائق تاريخية أو التستر حتى لا يصطدم المهتمون بحقيقة تلك الأمة.

ومن أهم القضايا التي تثير اهتمام الدارس لثقافة اليابان علاقة الماضي بالحاضر، كذلك المفاهيم التي سيطرت على فكر قادة اليابان ورجال فكرهم كي يسطروا أساطيرهم ويؤهلوا إمبراطورهم وأسرته... أن تتبع تلك القضايا ومحاولة فهمها سيعطى للقارئ فرصة ثمينة كي يتعرف على البوشيدو من أبوابها وليس كما يروق للمؤلف أن يسطر.

١ - البوشيدو في ضمير اليابانيين

إن البوشيدو التي تمخضت عنها تلك الدراسات ليست هي روح القتال الفانى لأجل القيم الخالدة أو النزاهة المطلقة التي تخلد صاحبها، ولكنها روح البقاء على الود مع سلاطين

هذه الأمة (العلاقة بين السيد والمسود - الإمبراطور ورعاياه) ومعانى الود هي الرضا بما يرضى السيد المصون حتى ولو كان ذلك فيه قسوة وغلظة على النفس ... فالطاعة العمياء هي الشرط المسبق للدخول في زمرة رجال البوشى وإلا الطرد وقطع لقمة العيش بل وتشريد الأسرة والأبناء.. فالشرف كل الشرف في مراعاة تلك الفضيلة وإثباتها في الواقع وعلى أرض القتال إذا استدعى الأمر ذلك.. ونظراً لأن الطاعة العمياء تضيء انسجاماً عاطفياً واندماجاً روحياً بين رجل البوشى وسيدته فإننا نجد عجباً بالغاً من اعتبار تلك النقطة هي القيمة المطلقة التي لا يفوقها أى قيمة أخرى.

وقد أوجبت تلك الفضيلة (الطاعة العمياء) حسناً من الجوار وروح الخدمة الفانية لأجل راحة السيد أو ولى النعمة عليه.. وبالتالي ضمان حياة مستقرة في ظل الأمان الذى توفره تلك العلاقة ومن هنا فإن رجل البوشى قد استمد بقاءه من رضا السيد الذى يطعمه ويسقيه، وأن واجبه فقط هو الدفاع عن مصالح سيده وأوامره وبالتالي نوال رضاه.. وربما كانت الصراعات على مناطق النفوذ قبل توحيد السلطة على يد رجال الباكفو (الحكومة العسكرية) كانت هي إحدى الركائز التي أنجبت طائفة البوشيدو وجعلت لوجودهم أهمية قصوى... ومن البديهي أن يلتفت الناس حول البوشيدو لاعتقادهم في صدق أهدوتهم وارتقاء نفوسهم.. فلم يكن هم البوشى سوى الدفاع عن الهدف الذى من أجله وجد، وليس السعى وراء الكسب أو السير وراء نزوات طارئة، فالرجولة التي هي رمز الجهاد عند هذه الطائفة تحتم عليه سمواً في الخلق ونزاهة في المقصد فهم لا يكثرثون سوى بالزهد في المطالب اليومية والصبر على كل غلظة، وعدم الشكوى للغير وانتظار الفرج من فضل سيده.

هكذا استمرت تلك الروح ردحاً من الزمن قل ذلك أو طال، حتى هبت رياح التغيير على دولة ياماتو في عصر مييجى (١٨٦٨-١٩١١) محملة بقيم جديدة لم يكن يتوقعها أبناء طائفة البوشى. أنها قيم مادية تهدم كل ما كان سائداً في عصر إيدو السابق على عصر مييجى، بل وتدمر الوجود الأخلاقي لمجتمع الساموراي والذى أسس مدرسته على أساس من الرفض للنزعات المادية والتغلغل في معانى الخلود التي تكمن في طبيعة اليابان.

أنها معانى الانسجام مع الطبيعة والتقرب إليها طمعاً في خيرها وبعداً عن غضبها.. إن الانسجام والتآلف بين الضعيف والقوى لا يتم سوى الاعتراف بحق القوى لأجل البقاء. فقد كانت لتجارب الأجيال السابقة أهمية وأحدوثة جميلة عند أبناء هذا الشعب فهم لا

يكفون عن الاعتزاز بمعاني القوة التي كان يحملها أجدادهم، ولكنهم في نفس الوقت يتعلمون من تجارب التاريخ أن الصراع بالقوة لم يجلب لهم سوى الشقاء والعداء لبعضهم البعض.

ومن هنا فإن القيم الخالدة لأمتهم تحتم عليهم الإصغاء لأولى الأمر بالطاعة والولاء للعرف وعدم الخوض في الجدل العقيم ومسايرة الواقع منعاً للصدام.

إن عصرًا جديدًا يتسم بالجدية في السعى والبعد عن الخيال قد بدأ يفرض نفسه على اليابان في مطلع القرن التاسع عشر حين وصل أسطول بيريه الأمريكي طالباً بعض الموانئ للتزود بالوقود من حكومة الباكفو في الوقت الذي كانت اليابان مغلقة على نفسها معتزة بكبريائها، لا نجد في مخالطة الأجانب إلا انحطاطاً ورذيلة تهدد عنصرهم السامي، هكذا نبئت آراء العنصرية على ضفاف دولة ياماتو، فقد كان محرماً على الأجانب دخول البلاد في ذلك الوقت وذلك باستثناء ميناءى ناجاساكي وهيروشيما اللذين كانا يسمح فيهما بالتزود بالوقود وتبادل المراسلات بين اليابان والدول القريبة منها. ولم يكن الأمر يزيد على بعض التسهيلات التي سمحت بها حكومة الباكفو لبعض سفن هولندا التي كانت تحمل الحديد وبعض المنتجات المعدنية إلى هذا الميناء. ولم يعد الأمر سراً أن طلب الأدميرال بيريه فتح الموانئ كي يتزود بالوقود قد خلق شعوراً بالاستياء لدى حكومة الباكفو، خاصة أن الأمر قد وصل إلى داخل البلاد وأصبح يشكل تهديداً صريحاً لكبرياء الأمة، وبالتالي كان هناك رأيان.. رأى يرى مقاومة ذلك الأجنبي ومنعه بأي ثمن كان وهو الرأي الأغلب والذي يقوده رجال الساموراي المستعدون للتضحية (Koiron)، ورأى يرى التريث في الأمر والسماح لهم بالتزود بالوقود والماء طالما أنهم لن يدخلوا اليابان (Kaikokuron).

واستقر الأمر على الرأي الثاني، وصاحب ذلك غلياناً ملحوظاً بين المثقفين الذين ينتمون إلى المدرسة الكنفوشوسية التقليدية التي ترى في المحافظة على كبرياء البلد وخاصمة الأجانب نوعاً من القوة، نعم ساد إحساس غامض بعدم الارتياح بل والخوف من هذا الاستقرار الأجنبي، خاصة إذا علمنا أن نبأ هزيمة الصين (دولة شن) وهي الدولة الأم على يد الإنجليز في حرب الأفيون قد وصلت أنبأؤه إلى داخل البلاد وأن الخوف من تعرض اليابان للمعاملة بالقوة جعل الأمر يحتاج إلى حكمة عالية في التعامل مع الأجانب القادمين.

إن تلك الروح الجديدة التي هلت على اليابان في ثوب الميكنة الحديثة وعصر المادة،

خلقت تهديداً حقيقياً لمجتمع البوشي الذي كان ينضوي تحت الأخلاق الكنفوشوشية وروح ياماتو أي روح الانتفاء لأرض الأجداد وأهتهم وهو انتفاء فرض روحاً لا تعرف الضعف وإرادة لا تفعل الحديد... بل ومقاومة عنيدة ولكل من يحاول تغيير تلك الروح الموروثة. وكان من البديهي أن تتجه حكومة مييجي وهي الحكومة الانتقالية التي انتقل إليها أمر البلاد أثار محاولة انقلاب سلمية بل ووردية على يد النبلاء لإقامة دولة حديثة وبناء جيش قوى قادر على مواجهة استفزازات الغرب القوى الذي فرض على اليابان فتح أبوابه.

ولم يمض قليل حتى شهدت اليابان تغييراً جذرياً في مفاهيم السياسة والاقتصاد والتعليم والميكنة الجديدة.. لقد ساور اليابانيين شك قاتل في القيم الأخلاقية التي يؤكدونها أنصار المدرسة الكنفوشوسية والتي تجرم السعى وراء المادة ومحاولة تقليد الأجنبي في مظهره وطريقة حياته، إن مثل هذا الجمود الفكري كان من وجهة نظر أصحاب المدرسة الغربية (يوجاكو) أحد الأسباب وراء تخلف اليابان وعدم لحاقها بالأمم المتحضرة... مما خلق عقدة نفسية لوحظت لوقت طويل على مستوى رجال الحكم والمثقفين، أنها عقدة الخوافة. أي الاعتقاد في كل ما هو أجنبي ونقد كل ما هو تقليدي. ونشأ عن هذه الروح الجديدة روح النقد لطائفة البوشي التي كانت تتشدد بمعاني الصبر والتضحية أمام الموت.

وما أن أدرك المثقفون من رجال الحكم خيبة اليابان أمام سلطان الآلة الجديدة حتى ساد إحساس بالانهيار النفسى وعدم الثقة في المعاني الأخلاقية.. وزاد الطين بلة أن الساموراي رجل نظري غير قادر على صنع شيء بل هو عالة على سيده يطعمه ويسقيه.. وبدأ التفكير جدياً في إلغاء النظام الطبقي الاجتماعي وانهارت البوشيدو رسمياً، ولو أن قيمها الراسخة في القلوب هي التي سجلت لليابان النصر الحقيقي في قضية التقدم والتحدى..

ولست أدعى من كل تلك السطور أن روح اليابان التي ولدتها تعاليم البوشيدو الأخلاقية هي السبب الأوحده في انطلاقة اليابان المظفرة، بل الحق يقال أن هناك ظروفاً دولية أجبرت اليابان على الدخول في زمرة الشعوب الحرة، وإنهاء عزلتها السياسية التي طالما كانت هي السبب ضمن أسباب أخرى جعلت اليابان أمة غير مفهومة الأخلاق والطباع بل وساعدت تلك الظروف في خلق أسطورة اليابان الجديدة بدلاً من تلك الأسطورة التي روج لها الغرب والتي لم تعرفها الأمم المتحضرة من قبل.

خلقت تهديداً حقيقياً لمجتمع البوشى الذى كان ينضوى تحت الأخلاق الكنفوشوشية وروح ياماتو أى روح الانتماء لأرض الأجداد وأهنتهم وهو انتفاء فرض روحاً لا تعرف الضعف وإرادة لا تغل الحديد... بل ومقاومة عنيدة ولكل من يحاول تغيير تلك الروح الموروثة. وكان من البديهي أن تتجه حكومة مييجى وهى الحكومة الانتقالية التى انتقل إليها أمر البلاد أثر محاولة انقلاب سلمية بل وردية على يد النبلاء لإقامة دولة حديثة وبناء جيش قوى قادر على مواجهة استفزازات الغرب القوى الذى فرض على اليابان فتح أبوابه.

ولم يمض قليل حتى شهدت اليابان تغييراً جذرياً فى مفاهيم السياسة والاقتصاد والتعليم والميكنة الجديدة.. لقد ساور اليابانيين شك قاتل فى القيم الأخلاقية التى يؤكدونها أنصار المدرسة الكنفوشوشية والتى تجرم السعى وراء المادة ومحاوله تقليد الأجنبي فى مظهره وطريقة حياته، إن مثل هذا الجمود الفكرى كان من وجهة نظر أصحاب المدرسة الغربية (يوجاكو) أحد الأسباب وراء تخلف اليابان وعدم لحاقها بالأمم المتحضرة... مما خلق عقدة نفسية لوحظت لوقت طويل على مستوى رجال الحكم والمثقفين، أنها عقدة الخواجة. أى الاعتقاد فى كل ما هو أجنبى ونقد كل ما هو تقليدى. ونشأ عن هذه الروح الجديدة روح النقد لطائفة البوشى التى كانت تتشدد بمعانى الصبر والتضحية أمام الموت.

وما أن أدرك المثقفون من رجال الحكم خيبة اليابان أمام سلطان الآلة الجديدة حتى ساد إحساس بالانهيار النفسى وعدم الثقة فى المعانى الأخلاقية.. وزاد الطين بلة أن الساموراي رجل نظرى غير قادر على صنع شىء بل هو عالة على سيده يطعمه ويسقيه.. وبدأ التفكير جدياً فى إلغاء النظام الطبقي الاجتماعى وانهارت البوشيدو رسمياً، ولو أن قيمها الراسخة فى القلوب هى التى سجلت لليابان النصر الحقيقى فى قضية التقدم والتحدى..

ولست أدعى من كل تلك السطور أن روح اليابان التى ولدتها تعاليم البوشيدو الأخلاقية هى السبب الأوحده فى انطلاقة اليابان المظفرة، بل الحق يقال أن هناك ظروفاً دولية أجبرت اليابان على الدخول فى زمرة الشعوب الحرة، وإنهاء عزلتها السياسية التى طالما كانت هى السبب ضمن أسباب أخرى جعلت اليابان أمة غير مفهومة الأخلاق والطباع بل وساعدت تلك الظروف فى خلق أسطورة اليابان الجديدة بدلاً من تلك الأسطورة التى روج لها الغرب والتي لم تعرفها الأمم المتحضرة من قبل.

يؤكدوا ويثبتوا أسطورة الإمبراطورية العظمى والدولة التي لا تغيب عنها الشمس.. لقد تطورت الأحداث الدولية بسرعة مذهلة أفقدت قادة اليابان الحكمة ودفعتهم تحت وهج هذه الروح إلى حرب توسعية أسموها "حرباً مقدسة" من أجل الإمبراطور وأنه سيرعاهم بل وسيقدم لهم الحماية الألهية عندما يفتحون البلاد المجاورة.

إن البوشيدو في عرف الأخلاق اليابانية ارتبطت بالدفاع عن معاني الشرف والكرامة التي تعتز بها الأمة اليابانية، وتلك الروح الأخلاقية هي خلاصة الأخلاق الدينية التي غرستها الأعراف السائدة في اليابان.

ف نجد أن فكرة "الجميل" "رد الجميل" في الفكر الديني الياباني والتي تعرف باسم (HOON) (ON)، أي الفضل والاعتراف بالفضل من القيم العليا في المجتمع الياباني التقليدي. وقد لعبت دوراً مهماً في استجلاب روح الحب والولاء الوطني والروحي لدولة اليابان وامبراطورها وقياداتها السياسية والاقتصادية والدينية.

فالاعتراف بالجميل أو الفضل من القواعد الأصولية في القيم الأخلاقية اليابانية، وإن تناسى أو تجاهل تلك الفضيلة كافياً لإنهاء كل مشاعر الود والحب واستدعاء كل مشاعر الكراهية والعداء. ولعل الكاهن البوذي الشهير "نيتشيرن (1222-1282) (NICHIREN) في كتابه 'HOONSHO' قد أكد أن أهم شيء في الأخلاق والتي لها دلالتها في الحياة هم أربعة أصحاب فضل يجب البر بهم ورد الجميل لهم. وهؤلاء الأربعة هم: الوالدين، كل المخلوقات من إنسان وحيوان، ملك البلاد، والكنوز البوذية المقدسة (بوذا. التعاليم. الكهان).

ولقد دخلت البوذية إلى اليابان في مطلع القرن السادس الميلادي وارتبطت في قدومها بأوضاع سياسية كانت تستوجب رفع المعنويات الروحية للشعب الياباني وربط السياسة بالدين للوصول إلى أهداف معينة، وقد كانت البوذية تعتبر ديانة النخبة الحاكمة ويقتصر العمل بطقوسها على الكهنة والخدم الذين يتوارون خلف النبلاء من علية القوم.. وقد كان من المهم أن يغرس هؤلاء القائمون على الحكم معاني جميلة غير معهودة تجعل الإحساس بالولاء لهم واجباً دينياً يستوجب العمل على عرفان الجميل ورده لمن جلبوه لهم.

إذن خلاصة القول إن "الإحساس بالجميل" "ووجوب رد الجميل" كانا من القيم الدينية الرفيعة التي استمدت جذورها من الديانة البوذية ولقد ظهرت كلمة "الإحساس بالجميل" في كتابات "موشي (Moshi) وكذلك كتاب Rongo للفيلسوف الصيني شوشي

(Shoshi) ولعل تلك القيم الدينية تمثل الأساس الذي استمدت منه البوشية معالمها الأخلاقية، فالعمل في وقت السلم والحرب هو نوع من رد الجميل، والإحساس بالجميل الذي وهبه الوطن أو العشيرة أو الشركة أو المؤسسة التي ينتمى إليها. وقد انتشرت تلك القيم في القرن الثاني عشر والثالث عشر على يد ممدى الديانة البوذية أمثال مؤسس طريقة "سوتو شو" البوذية الروحي "دوجين".

ولقد احترم الشعب الياباني معلمهم من الرهبان أو رجال العلم واعتبروهم آلهة أو في مصاف الآلهة الروحيين. ولقد خلقت تلك القيم الروحية نوعاً من الارتباط الأزلي بين الحكماء والعامّة وبين القادة والرعية، وأصبح الواجب الوطني هو ذاته واجباً دينياً وأخلاقياً رداً لفضل الوطن وجميله على الشعب.

ولعل قيم البوشيدو الخالدة تستمد قوتها من آثار التعاليم البوذية التي أصبحت بعد ذلك الأساسى للفكر الأخلاقى اليابانى، بل أصبحت هى روح الأمة اليابانية.

لقد تطورت المفاهيم الحياتية عند اليابانيين من مجرد العمل بالواجب تجاه أباطرة البلاد والتضحية بكل غال ورخيص في سبيل رضائهم، وكنوع من الاعتراف بجميلهم إلى تفعيل تلك القيم إلى التفانى في العمل أياً كان نوعه باعتبار أن الفرد هو جزء من كيان المجتمع الذى يعيش فيه، وأن واجبه رد الجميل لهذا الوطن الذى أعطاه ومنحه الوجود والحياة.. إن تزامن تلك القيم العليا مع انطلاق الشرارة الأولى لبناء اليابان الحديثة كان له أثره البالغ في الوصول إلى الأهداف القومية في أسرع وقت ممكن.. لقد تحولت العواطف الدينية إلى تطبيقات فعلية من أجل الوطن، ولو أن أسلوب التربية في المجتمع اليابانى قد غرس في نفوس أبنائه حب الإيثار لا الأثرة، والتسامى عن الأهداف الخاصة. لقد أسهمت تلك القيم في إعطاء الوقت والجهد الكافى للعمل والإنجاز، وتحول الشعب اليابانى إلى خلية نحل لا تتوقف عن العطاء من أجل الوطن ورداً للجميل.

لقد امتزجت القيم الدينية والحياتية في ضمائر الشخصية اليابانية بحيث أصبح الضمير الوطنى معناه الضمير الأخلاقى والدينى والاجتماعى. وأصبح الإمبراطور هو الإله وفى نفس الوقت هو كبير العائلة. وأصبح رد الجميل للإمبراطور بصفته الإلهية أولاً وبصفته الأب الروحي للعائلة.

لقد ارتبط العمل من أجل الوطن بالعمل من أجل الإمبراطور في صورته المؤهلة فأدى ذلك إلى مشروعية قيم العمل واستقامتها مع روح اليابان التي هي من جملة القيم الدينية والأخلاقية لمجتمع البوشي.

وربما لا ننسى أبداً تأثير الفكر الصيني - الكنفوشيوسي على السلوك الفردي للشعب الياباني. ذلك الشعب المولع بتعلم كل جديد في نطاق الأخلاق أو الفنون الجميلة، فالشعب الياباني بطبيعته ينشد الكمال والجمال في آن واحد، ويبغي الرفعة والنهوض. إن المدرسة الكنفوشيوسية اليابانية. وكما أورد البروفيسور / تكايسى أوتشى جيوا في كتابه "الكنفوشيوسية في اليابان": "إن العلوم الكنفوشيوسية في الصين محورها الاحترام، ومحورها بلوغ المعرفة والكمال، ولكن لم تنشأ علوم كنفوشيوسية أساسها "الإخلاص" MAKOTO لقد ترعرعت في اليابان الكنفوشيوسية التي تتمحور حول الإخلاص" لقد ارتاح المتحمسون للعلوم الكنفوشيوسية لفضيلة "الإخلاص" واستمر التمسك بها ودون توقف أجيال وأجيال.

إن قضية الانتصار عند اليابانيين تمثل الرغبة في تحرير الروح اليابانية من أي قيود، إنها هي قضية الحرية الوطنية والاستقلال التي عبر عنها موكوزاوا بوكيتشى في كتاباته الأولى عن الاستقلال: "إن أي معانى تحول دون ذلك هي عين الهزيمة والهلاك، لقد كانت البوشيدو تعزز في نفس الياباني رفض الاستسلام للخوف أو المرض أو حتى الألم.. وكان من البديهي أن الغرض من وراء ذلك هو إثبات قوة النفس ورباطة الجاش.. وما أن جاء عصر ميحي، وهو عصر المساس بكبرياء اليابان، تحولت الآراء من مجرد صيحات تردد في الهواء إلى ناقوس خطر يدق في كل الأجواء"

لقد تحركت اليابان قادة وشعباً في كتلة واحدة كي يدافعوا عن كرامتهم وهي كرامة الأمة من أن تدنسها دولة أجنبية.

إن البوشيدو وهي خلاصة التعاليم الدينية والأخلاق الوطنية أصبحت رمزاً لكل مقدس عندهم فإن أردت أن تكون و طنياً مكرماً فيجب أن تعلم معانى الرجولة التي سطرها رجال البوشي.

٤ - حركة الفكر الياباني الحديث

ولقد كان هدف تلك الحكومة محددًا وواضحًا وهو "نظام دستوري جديد"، و"تنمية الروح الرأسمالية من خلال مجموعة من الخطوات والشعارات التي رفعتها وسعت لتحقيقها. ولعل التاريخ هو الذي يحدثنا عن الملابس السياسية التي وضعت فيها اليابان حينذاك وغيرت من مجريات الفكر الياباني السائد، والذي كان أحد أسباب تحلف اليابان السياسي والاقتصادي والاجتماعي... إن نظرة شاملة على تطورات الأحداث في تلك الحقبة يجعلنا نتصور عظم المشاكل التي وضع فيها قادة البلاد ومثقفوها، والحيرة التي عانى منها المجتمع في تعامله مع الفكر الغربي الوافد.. ولقد سبق سياسة الانفتاح التي تبنتها حكومة مييجي تطورات متلاحقة أجهزت على النظم العتيقة للحكومة العسكرية "الباكفو"، فقد دار جدل عنيف بين أنصار المدرسة القومية التقليدية المعروفة باسم "الكانجاكو"، والمدرسة الغربية الجديدة المعروفة باسم "يوجاكو".. اتهم كل منهما الآخر بالتواطؤ والخيانة لقداسة الإمبراطور لكن ظلت القضية التي تشغل كليهما هي: كيف نحمل ثقافتنا ونحن في مفترق الطرق، وكيف نبني دولة قوية معتزة بأخلاقها!!

وقد استخدم أصحاب المدرسة الأولى في جدلهم سلاح "احترام الإمبراطور" والمعروف باسم "SONNORON"، حيث أكدوا على ضرورة التمسك بالهوية والقدسية لشخص الإمبراطور وعائلته قبل التفكير في إقامة نظام سياسي أو فكر مستورد. إن العودة إلى القديم هي دأب كل الأمم الشرقية، فملاذ العامة دائماً هو العودة إلى الوراء والتماس الأمان في الماضي وكرهية التغيير.. إن أنصار الدعوة إلى المحافظة على الخط الإمبراطوري هم أنفسهم أصحاب الدعوة إلى التغيير في إطار الأعراف الأخلاقية التي ترعاها الأمة ولا تحيد عنها..

إن أهم ما يميز حركة الفكر الياباني هو الامتزاج والاندماج الكامل بين معايير الانتماء السياسي والمذهب الأخلاقي والعقائدي فانظر إلى مقاله البروفيسور ماتسوموتو سانوسكي، أستاذ العلوم السياسية بجامعة طوكيو: "إن الديانة الشنتوية ليست هي طريق الآلهة كما هو معروف من التائم الدينية والعبادات، وإنما هو طريق حكم الإمبراطور". فالأديان اليابانية هي التي مهدت للحكم السياسي وأعطته الشرعية الأخلاقية

والسياسية. وبالتالي فإن الإمبراطور هو الرمز القومي كما تعبر عنه كلمة "سياسة" في اللغة اليابانية، وعلى هذا الأساس فإن الإمبراطور هو الممثل الحي للديانة الرسمية وله صفة الألوهية والشرعية السياسية في آن واحد، وطاعته واجبة دون تراخ أو تراجع. ومن هذا المنطلق قامت وحدة الأمة اليابانية على وجوب الطاعة العمياء لكل ما يهيم الإمبراطور دون مناقشة، واعتبار الخروج على هذه الطريق هو خروج على الطاعة للحاكم المؤله..

إن مبحث تقديس الإمبراطور SONNO RON الذي قاده أنصار المدرسة القومية المعروفة التي كانت ترتدى ملابس الولاء للبلط الإمبراطوري في رفضها لقضية الانفتاح على الغرب واعتبرت أن التفریط في النظام الأخلاقي الإمبراطوري هو بعينه الخيانة لذات الإمبراطور ونوع من الارتداد الأخلاقي في آن واحد.

وحتى تحافظ اليابان على استقلالها السياسي كان لزاماً عليها المحافظة على الطريق الإمبراطوري بكل نواميسه وإبداء المرونة السياسية الكافية لاجتياز عقبة التعامل مع التحديات الدولية الجديدة. وقد نجحت اليابان من خلال فلسفة النظام الإمبراطوري المحافظة على وحدة الشعب الذي يقدر إمبراطوره، وبالتالي إنجاز أهداف الدولة القومية.

٥ - البوشيدو وعلاقتها بالسياسة:

سبق أن قلت أن علاقة البوشيدو بالأديان تمثل محوراً أساسياً تقوم عليه، فالبوشيدو تدعو إلى الإخلاص للإله (سواء كان هذا الإله ممثلاً في شخص الإمبراطور أو عائلته، أو ممثلاً في قادة اليابان الأقوياء، أو كل ما يربط الياباني بالتربة اليابانية).

والإخلاص ليس هو العمل لغير المنعوت بالألوهية، فالهدف الذي من أجله أحياء لا بد وأن يلتقى مع الرغبة في التضحية، بل وحب التضحية.. ونظراً لأن تلك المعاني لا توجد إلا في المعاني التي تأمر بها البوشيدو، فبديهى أن يتحلى رجال اليابان بتلك الروح بل وتعد مصدر حبهم للوطن وولاءهم لترابه.

إن العبادة عند اليابانيين تعد طرازاً مختلفاً عن سائر العقائد، فقد يكون لديانة ما شكل معين وطقوس لا مفر منها عند القيام بالصلاة لأجل الإله، ولكن البوشيدو هي روح الانسجام مع الواقع والصبر على المر لأجل الهدف، فإذا كانت الحرية هي الهدف فلا بد من

تحقيق ذلك بالصبر وألوان المهادنة، وهدوء النفس فلا ثورة ولا عنف، فالياباني لا يلجأ إلى العنف إلا حين يكون ذلك واجباً يحتم عليه ذلك فالرغبة في الحرية تفرض واجباً يجب تأديته وإلا فنوال الحرية مستحيل.

إن الحديث عن البوشيدو منفصلاً عن السياسة يعد أمراً مستحيلاً، فالسياسة عند اليابانيين هي انعكاس لمعاني البوشيدو، تلك المعاني التي غرزت حب الوطن ممثلاً في الأرض والطبيعة والإمبراطور والشعب إنه حب جامع لا يفرق بين جزء وآخر، إنه حب غريزي انفطرت عليه الشخصية اليابانية، إنه خلاصة تعاليم البوشيدو والتي تمجد الروح اليابانية وتعد اليابان فوق رؤوس البشر..

وقد أمدت هذه الروح اليابانيين باعتقاد راسخ بأهمية الدفاع عن كل شيء يمس كبرياءهم سواء كان ذلك خطأ أم صواباً. إن قضية الخير والشر عند اليابانيين لها معنى مختلف طالما كان ذلك يعني الولاء للوطن فالولاء مسبق على المبدأ، والحقيقة لا تعنى سوى مصلحة اليابان.. لقد بحثت كثيراً في أسباب تفوق اليابانيين فوجدت تلك الروح وقد يكون انتهاج الشعب لطريقة حياة واحدة أحد الأسباب التي جعلت التجانس مطلوباً في كل شيء والاختلاف مبعوضاً إلى حد بعيد وكما ذكر مؤلف البوشيدو ونقلاً عن مقولة "ارثر كنان" في قوله "من العسير أن نميز في الأدب العبري فيما إذا كان الكاتب يتحدث عن الله أو الدولة وعن السماء أو القدس أو الوطن نفسه" وهذه الكتلة الواحدة في الفكر والسياسة والتقاليد الاجتماعية والدينية خلقت توحيداً تاماً في الشعور والوجدان بل في الواجبات القومية بصرف النظر عن صحة ذلك أو خطاه.

ولعل الحديث عن علاقة البوشيدو بالسياسة يفرض علينا نوعاً من الالتزام بالبحث عن الجوانب التي استوحى منها رجال الحكم أفكارهم لدعم فكرة الحكم والتسلط.

إن كثيراً من النظريات والتعاليم الأخلاقية استمدت جذورها من الكنفوشيوسية فأقرارها للعلاقات الأخلاقية ما بين السيد والمسود "الحاكم والمحكوم" وبين الأب والابن والزوج والزوجة وبين الأخوين والأصدقاء كلها أتت تؤيد ما كانت تتمخض عنه الغريزة اليابانية..

فقد كان لبساطة التعاليم الكنفوشيوسية أثرها الواضح في تقبل اليابانيين لها واندماجها مع أوضاعها البيئية وثقافتهم الذاتية، فقانون الطبيعة الذي يحكم البيئة اليابانية يفرض نوعاً من الاحترام للأقوى والولاء والطاعة له، ومن هنا جاءت تعاليم كنفوشيوس بمثابة دعامة قوية لما كان سائداً في ربوع اليابان من قواعد للعلاقات الرأسية والأفقية.

ومن هذا يتضح لنا أن تعاليم البوشيدو نبتت في أوضاع بيئية فرضها الواقع أكثر من النظرية فقد انسجمت التعليم في مضمونها مع نظرية الواقع انسجماً حقق نوعاً من الاستقرار القومي، فقد اقر القوى على أحقيته في البقاء وبالتالي حقوقه الطبيعية، وأنكر على الضعيف استقلاله طالما أنه لا يجد ملجئاً يؤويه ويحميه من أنياب الأقوياء..

ومن منطلق تلك الظروف ظهرت عناوين أخلاقية طيبة في مظهرها خبيثة في مخبرها، فنجد معانى الواجب تجاه السيد الحاكم هي في ظاهرها طيبة المعنى ذكية الرائحة ولكن في باطنها تحمل روح الخوف على المصير وحب البقاء والرغبة في حياة آمنة.

إن رجال البوشي كانوا يتحلون بالشجاعة أمام أسيادهم فقط دون الحاجة إلى تأكيد ذلك أمام العامة وأن الطبقات الأدنى كانت تخشى قوتهم وتحاول تقليدهم.

كذلك نجد أن حكم البلاد انتقل إلى طبقة البوشي في وقت عم فيه الكرب والفقر في البلاد فقليل من ثروات البلاد كانت في أيديهم وأغلب الثروات في أيدي النبلاء الذين اشتهروا بالبذخ والرغبة في تقليد أباطرة الصين واقتناء فنونهم إن تعاليم البوشيدو لم تكن تحمل في طياتها نظريات مجردة أو غاية سامية تلحق الفرد بالملاد الأعلى بل رغبتها كانت مجرد حب الوطن وتقوية روح الانتفاء القبلي والقومي.

٦ - البوشيدو وعلاقتها بالاقتصاد

طالما كانت البوشيدو تتغنى بالفضيلة وتنأى عن الرذيلة فإن البعد عن الملذات والزهد في المطعم والملبس هي المرادف الطبيعي الذي تحمله تلك الطائفة.

ولعل ما كانت ترمي إليه فلسفة البوشيدو الأخلاقية هي تعويد النفس على الصبر على الملذات والانتصار على الشهوات ومقاومة الإغراءات. كان لذلك أثراً عميقاً في الحفاظ على طاقات الشباب من التبيد وإدراك الحكمة في توزيع الثروة وتمكين الدولة من الحفاظ على ما

تدخره البنوك من أموال لاستخدامها في مشاريعها الضخمة.. ونظراً لأن الطبيعة الجميلة هي مسبب كل راحة وملجأ كل كسير فقد ظهرت طائفة من الشعراء يتغنون بالزهد ويشنون على الحب الذي تعطيه الآلهة يتحلى بالإمساك عن الشهوات.. وهكذا يتضح مما سبق أن العادات الحسنة إذا ما عملت وانتشرت كان لها أكبر الأثر في خلق جيل قويم الخلق سليم الإحساس مثابر في الحياة متفان في حب الوطن..

ولما كان العصر الحديث يحمل في طياته كل دلائل حب المال والدعوة إلى جمعه لآجل البناء والتعمير فإننا نجد أن كثيراً من رجال البوشى قد تأزمت أخلاقهم بصدور قرارات حل النظام الطبقي الذي دام قرابة مائة عام فقد انطوت هذه القرارات على أهداف جديدة مردها الحاجة إلى دخول العصر الجديد والبحث عن الذات في عالم جديد.

ولما كان أغلب طوائف البوشى من الصنف الذي ينكر حب المادة، ويتنكر لها، فقد سبب دخول اليابان عصر جديد أهدافه المادة في هدم كثير من العلاقات الاجتماعية المتينة التي كانت تربط تلك الطوائف بأفراد المجتمع.... وانحسر عمل البوشى في أعمال لا تجلب استقرار ولا هدوء... وأخذ كثير منهم يتقبل الوضع الجديد بشيء من الألم والمرارة.. وظهرت دعوات تدعو إلى الانخراط في المدنية الحديثة مع الاحتفاظ بالروح القديمة وهو الشعار المعروف باسم "Washin Yosai" أي الروح اليابانية والنبوغ في العلوم الأوروبية وبالتدريج أخذت الروح اليابانية تعرف أخلاقاً جديدة لها طعم جديد، فالسعى من أجل المادة لا يعنى المادة لذاتها بل تأمين الروح اليابانية وحمايتها أمام جباية الغرب، هكذا نظر أغلب مثقفي اليابان وهم ممن ينتسبون إلى المدرسة الكنفوشوسية أي "الكانجاكو"...

ونظراً لأن العصر الجديد كان يتطلب الجد والاجتهاد في تعليم اللغات الأوربية الحديث فإن أغلب المعلمين كانوا يعانون من عدم فهم اللغات الأوربية وذلك لعدم وجود قاموس يابانى-أوروىى، واتجاه معظم المثقفين إلى البحث في القواميس الصينية-اليابانية التي تساعد على تقريب المعانى وقد كتب معظمهم النطق بالحروف الصينية حتى يمكن حفظها.

إن عظمة هذا الروح التي ولدتها عقيدة البوشيدو تكمن في قدرة هذا الجيل من اليابانيين في الحفاظ على روحهم القديمة بينما يسعون إلى قيام دولة حديثة مختلفة عن فكر البوشيدو شكلاً ومضموناً..

ولقد أسهمت روح البوشيدو وهي روح اليابان التقليدية في الحفاظ على قدر عال من المعنويات العالية في تلك المعاني في كتاباتهم عن الحضارة الأوربية ومدى احترامهم لروح اليابان مهما بلغت رغبتهم في التقدم. إن مجلة رواد الفكر الحديث والمعروفة باسم "Meiroku Zasshi" أي مجلة السادس من ميغى تضم أكثر من ثلاثة وأربعين عددا مكتوبة بأيدي أصحاب المدرسة الغربية المعروفة باسم "يوجاكو" وهم نسل الساموراي وخلاصة مثقفيهم، وأكثرهم ينحدر من أصل بوشى وسافروا في بعثات دراسية لدول الغرب كي يترجموا حضارة الغرب وينقلوها لليابان. إن هؤلاء المثقفين الجدد كانوا يؤكدون في كتاباتهم أهمية الحفاظ على روح ياماتو أي الروح التي تمسك بها رجال البوشى الأحرار، وكانوا لا ينفكون عن معاداة كل من تسول له نفسه أن يخرج عن هذا الإطار.

إن معاني الزهد ومقاومة النفس التي خلفتها البوشيدو كان لها أكبر الأثر في تكوين روح الجماعة التي أسهمت بقدر فعال في تطوير نظام الإدارة في الشركات، وتعزيز معاني وقيم العمل لأجل الشركة بل وصل الأمر إلى حد التضحية بأيام الأجازات لأجل تحقيق أعلى ربح للشركة أو المصنع الذي ينتمى إليه.

إن روحاً جديدة سرت في أوصال المجتمع الياباني وعلى رأسها المؤسسات الاقتصادية والمصانع الجديدة فقد كرس رجال الاقتصاد أهدافهم لخدمة الوطن، وأصبح شعار: العمل لأجل الشركة مساوياً لمعنى: العمل لأجل الإمبراطور..

وتحولت القيم التقليدية إلى روح جديدة تغزى قيم الانتماء للشركة أو المصنع وأصبح الخروج عليها نوعاً من الانتحار، فليس هناك شركة تسمح لأحد موظفيها بالاستقالة والعمل مع شركة أخرى.. وأصبح ذلك يشكل عبئاً على استقلالية الفرد وحياته الخاصة وأصبحت أسرة الموظف بالشركة مدينة بالفضل للشركة وبالتالي أصبح للشركة كامل الحق في التدخل في حياة الفرد الشخصية والعائلية، كل ذلك نجم عن الاحترام الزائد الذي أولاه أفراد الشعب الياباني لقضية التقدم، وكان لروح الولاء والإخلاص والتفاني أكبر الأثر في إثراء تلك القيم وتثبيتها في النفوس.

إن البوشيدو هي طريقة حياة ومبدأ قوم أسهمت في زرع قيم خالدة ترعرعت في ميدان

الحب والحرب فأما في ميدان الحب فكانت هناك الرابطة التي ربطت قلب كل ياباني بأرضه وجنسه وعقائده وأما في ميدان الحرب فقد أسهمت في تخريج أجيال لا تعرف الخوف من أجل المصلحة الذاتية بل أجيال تفضل الموت في سبيل الوطن. فقد تربت أجيال الساموراي في أحضان طبيعة قاسية ورباية خشنة لا تسمح بالضعف أمام المادة أو الاستسلام أمام الإغراء فكان النتائج باهرا والعطاء سخياً، فقد درج القوم على الاستئثار بالقليل والتنازل عن الكثير لأجل المجموعة فولدت قيمة مفادها التضحية وإيثار الغير وإنكار الذات.

وقد كان أحد ثمار الأخلاق الانطلاقة الحضارية التي انطلقتها اليابان من أجل اللحاق بالحضارة الأوروبية الحديثة مستفيدة من كل ما أتت لها من فرص لاقتناص العلم والتجربة مستخدمة كل ما لديها من حيل ودهاء واستكانة أمام الغرب للحصول على المعرفة ولقد توافرت لهم تلك الخصوصيات في علاقتها الاجتماعية فهم يعرفون السمع والطاعة والولاء، ويفهمون أن الاعتراض على رأى الأستاذ يقابله العقاب والحرمان. وقد زاد ذلك من إحساس الإنسان الغربى بالكبرياء تجاه اليابانيين ودفعه إلى إعطاء أسرار الحضارة دون خوف أو تردد.

إن لغة الاستعباد والرقيق التي ولدتها طبيعة المجتمع الياباني جعلت إمكانية التعامل مع أى جنس سهلة ولا تتطلب جهداً خارقاً وقد جعل ذلك كثيراً من الأجانب يصفون الشعب الياباني بالأدب والتواضع، ولكن الحقيقة أن القسوة التي يلاقيها الياباني مع من هم أعلى منه جعلته يعتاد الصبر والاستكانة وبالتالي التواضع والخضوع.

عودة إلى حديثنا عن معانى البوشيدو الخالدة نجد أن القيم الخالدة التي زرعتها البوشيدو من ضبط نفس وحلم ورأفة وإحسان وصبر وشجاعة كانت لها أكبر الأثر في تطويع الإنسان الياباني لخدمة أغراض النهضة الحديثة، فإن معانى الصبر والحرمان والجلد التي تميز بها رجل البوشى قد ترجمت إلى قيم ضرورية من قيم العمل والإخلاص للدولة، وبالتالي أسهمت في رفعة شأن الصناعة اليابانية، ونجم عن ذلك قدرة اليابان على الدخول في عالم المنافسة الحرة في الصناعة والتجارة. لقد حمل نسل الساموراي على عاتقهم عبء تحديث اليابان، وأخذ المثقفون اليابانيون على عاتقهم دوراً مهماً وحيوياً في تبصير الشعب الياباني

بأهمية التقدم والحضارة الحديثة في الوقت الذي أخذ فريق آخر على عاتقه مهمة نقل واقتباس أصول الميكنة الحديثة، وسار الفريقان يدعمان هدف الدولة القومية الذي رفعته وهو الشعار المعروف باسم: "Fukoku Kyohei" – "Bonmmei – Kaika" "أما الشعار الأول فيعني عصر الحضارة والتنوير، وأما الثاني فيعني دولة غنية وجيشاً قوياً ويمثل كلا الشعارين المرحلة الأولى في عملية التقدم في اليابان.. ثم أعقبت ذلك عدة شعارات لاستكمال معاني الحدائة الجديدة.

إن الجانب العلمي من الحضارة قد استحوذ على كل اهتمام اليابانيين سواء كانوا مثقفين أو سياسيين أو أصحاب رؤوس أموال، وأعقب ذلك إهمال متعمد للجوانب الروحية والإنسانية معاً، وقد ترك ذلك أثراً واضحاً في عجز اليابان عن استيعاب الجوانب اللاهوتية والفلسفة للحضارة الأوروبية.. وربما كانت الظروف الدولية التي أحطت باليابان أحد الأسباب التي حالت دون استكمال مسيرة التقدم في مجال الحكم وبالتالي ساهمت في كثير من سوء الفهم لطبيعة الثقافة والفكر الياباني بشكل عام..

ونظراً لأن العقائد الإلهية تمثل الجانب المهم في الحضارات العالمية فإنه يبدو واضحاً من طبيعة الحضارة اليابانية أن هذا الجانب من العقائد الذي حمله رجال البوشي كان يمثل معاني أخلاقية أكثر منها عقائدية وبالتالي فإننا نجد أن معاني الوفاء والولاء والطاعة كان مقصود بها اليابان ولا دولة غيرها، وكذلك نجد أن الاحترام والثقة بين أبناء الجنس الواحد – أي جانب الجنس الياباني – لا يمكن أن يمتد بشكل أو بآخر إلى أجناس أخرى، ومن هنا نجد أن البوشيديو قد خلقت من جانب قيم خالدة للجنس الياباني، ومن جانب آخر ولدت إحساساً عنصرياً بالتفوق ورغبة قوية في الانتصار على أي جنس آخر، وأسهم ذلك بدوره في قدرة اليابان على تحقيق عملية التقدم في وقت وجيز... أما إذا تحدثنا عن الجانب السلبي الذي أحدثته البوشيديو في علاقة اليابانيين بغيرهم من الأجناس الأخرى لوجدت أنها ولدت روحاً قومية امتلأت بالرغبة في التوسع على حساب الجيران، وحرماً توسعية جعلت العلاقات الدولية بين اليابان وجيرانها الآسيويين شبه مستحيلة، ثم ما لبثت أن اندلعت حرب توسعية بين اليابان والغرب انتهت بهزيمة اليابان هزيمة كبرى على يد قوات الحلفاء...

باختصار لقد تحولت البوشيدو إلى سلاح ذى حدين، فقد ولدت الشرارة العظيمة التي حولت اليابان من دولة إقطاعية فقيرة الموارد والعلم إلى صناعية وتجارية كبرى، ومن جانب آخر جرت اليابان إلى حرب توسعية وعدوانية أدت بها إلى الهزيمة.

وبالنظر إلى الاتجاه العقلانى الذى نشأ عن فكر كارل ماركس واتبعه ماكس ويفر وغيرهما من رواد الفكر الفلسفى فى عصر التحولات المدنية الحديثة، نجد أن هذا الاتجاه كان منشؤه حاجة الإنسان فى المجتمعات البدائية أو المجتمعات البسيطة. فربما نجد أن الهدف الذى يبحث عنه لا يزيد على سد الجوع عند الحاجة، وطرق الأسباب عند فقد المؤن، ثم تحولت المجتمعات من مجرد شكل بسيط إلى مدن قائمة ولكن تحكم وجودها تقاليد وعادات ربما تعوق حركة التحول إلى مجتمع مدنى. ولكن الاتجاه العقلانى تغذيه من جانب فطرة الإنسان العادى التى يحكمها العقل والرغبة فى تحسين مستوى أداء حياته.. إلا أن هذا التطور فى الفكر الإنسانى لم يحدث فجأة وبهذه السرعة بل ساعد عليه اشتباك فى المصالح بين فئات تبتغى التحول نحو الأفضل وفئات تريد أن تحتكر حركة الإنسان باسم الدين أو التقاليد والأخلاق، ونجد هذا الصدام فى كل المجتمعات، ولكن الإرادة الإنسانية والدافع للرقى الإنسانى هما اللذان يحددان إمكانية تحقيق وبلوغ هذا الهدف أم لا.. وبالتالى فإن الإصلاح يبدأ من نقطة الصفر ثم ينطلق فى مراحل متعددة وفى صعود وهبوط أحياناً حتى يستقر فى الدرجة التى ينشدها المتحمسون من هذا التطور أو ذاك الأمل.

أما عصر "طوكوجاوا" فقد كان هناك ثلاث حركات فكرية اتخذت من السياسة محوراً لأفكارها وهم "البوشيدو"، وأنصار الكوكوجاكو "المدرسة القومية" و حركة "الميتو".

وفى هذا الجو الفكرى نود أن نستعرض أهم تلك الحركات من الوجهة الفكرية وعلاقتها بالأديان أولاً، ثم تطورها على الساحة كأيدولوجية قومية.. وقبل أن نستعرض هذا الموضوع نحب أن نلقى ضوءاً على الجانب التاريخى الذى جمع تلك الحركات ثم علاقة كل منها بالأخرى ودور كل حركة فى حركة التنوير الحديثة.

جنود الفكر الياباني القومي

إن علاقة السياسة بالفكر كانت قوية منذ مطلع التاريخ، ونخص بالذات تاريخ اليابان الذي يزيد على ألفين وخمسمائة عام، وبالأخص تزداد هذه العلاقة وضوحاً في عصر "طوكوجاوا" وهو المعروف باسم العصر الإقطاعي، ونظراً لأننا لا يمكن أن نتطرق إلى تاريخ اليابان ككل لنستعرض من خلاله تلك العلاقة، فإن العصر الذي قويت فيه تلك العلاقة وأحكمت كل شيء باسم السياسة هو "طوكوجاوا" أو يسمى بـ "عصر إيدو".

وقد يكون لتأثير الصين على هذه التسمية دور فعلي فيما يمكن قوله بأنه في عام ٦٠٤ ميلادي صدر دستور دولة ياماتو في عهد الأمير شوتوكو، وهو الدستور الذي استوحى نصوصه من كل من البوذية والكنفوشوسية، أما النظرية التي تمس الحكم بالذات فإنها كنفوشوسية المنبت.

إن النظرية الكنفوشوسية في الحكم تنص على أن سلطة الحاكم ليست فقط سياسية وأخلاقية بل أسطورية أيضاً.. وقد صاحبت تلك الأيديولوجية نظرة مقدسة للإمبراطور، فضلاً عن أسرته أيضاً، أما البوذية فإنها لم تخلو من رباط مقدس مع السياسة، خاصة في علاقتها مع الإمبراطور وأسرته، فقد ظهرت طوائف بوذية تنظر إلى الإمبراطور على نفس شاکلة بوذا وتعتقد في اتحاد مملكة ياماتو الروحية المثلة في الإمبراطور وبين بوذا الإله - هوتوكيساما - HOTOKESSAMA وقد أدى ذلك النسب الخرافي إلى وجود تبريرات شرعية تؤيد الجمع بين العقيدتين في ثوب جديد دون حاجة إلى نزع الثوب القديم.

جذور الفكر الياباني القومي

إن علاقة السياسة بالفكر كانت قوية منذ مطلع التاريخ، ونخص بالذات تاريخ اليابان الذي يزيد على ألفين وخمسمائة عام، وبالأخص تزداد هذه العلاقة وضوحاً في عصر "طوكوجاوا" وهو المعروف باسم العصر الإقطاعي، ونظراً لأننا لا يمكن أن نتطرق إلى تاريخ اليابان ككل لنستعرض من خلاله تلك العلاقة، فإن العصر الذي قويت فيه تلك العلاقة وأحكمت كل شيء باسم السياسة هو "طوكوجاوا" أو يسمى بـ "عصر إيدو".

وقد يكون لتأثير الصين على هذه التسمية دور فعلي فيما يمكن قوله بأنه في عام ٦٠٤ ميلادي صدر دستور دولة ياماتو في عهد الأمير شوتوكو، وهو الدستور الذي استوحى نصوصه من كل من البوذية والكنفوشوسية، أما النظرية التي تمس الحكم بالذات فإنها كنفوشوسية المنبت.

إن النظرية الكنفوشوسية في الحكم تنص على أن سلطة الحاكم ليست فقط سياسية وأخلاقية بل أسطورية أيضاً.. وقد صاحبت تلك الأيديولوجية نظرة مقدسة للإمبراطور، فضلاً عن أسرته أيضاً، أما البوذية فأنها لم تخلو من رباط مقدس مع السياسة، خاصة في علاقتها مع الإمبراطور وأسرته، فقد ظهرت طوائف بوذية تنظر إلى الإمبراطور على نفس شاكلة بوذا وتعتقد في اتحاد مملكة ياماتو الروحية الممثلة في الإمبراطور وبين بوذا الإله - هوتوكيساما - HOTOKESSAMA وقد أدى ذلك النسب الخرافي إلى وجود تبريرات شرعية تؤيد الجمع بين العقيدتين في ثوب جديد دون حاجة إلى نزع الثوب القديم.

الفهرس

٥	رحلة إلى بلاد الوقواق
٨	جذور الفكر والثقافة اليابانية
٨	مفهوم كلمة "ثقافة" في المصطلح الشائع
٩	مفهوم كلمة "فكر" في المصطلح الشائع
١١	طبيعة الثقافة اليابانية:
١١	الأرض اليابانية
١٢	التراكمات الثقافية
١٣	الفلسفة الروحية لليابانيين
١٣	الدين والطبيعة
١٤	الطبيعة والحياة
١٥	مدخل إلى الفكر الياباني الحديث، تمهيد
١٥	الفكر الياباني الحديث
١٥	إدخال الفكر الغربي
١٥	ازدواجية الفكر الياباني الحديث
١٦	رواد الفكر الحضاري الحديث
١٦	(١) فوكوزاوا يوكيتشي، مولده وحياته. مؤلفاته
١٨	(٢) ناكني تشومين
١٩	المجتمع الياباني
٢١	الجماعات الانفصالية في المجتمع الياباني
٢٢	فضيلة الحياء عند اليابانيين
٣٢	التجربة اليابانية من النظرية إلى التطبيق
٣٣	١- جذور الاتجاه العقلاني عند اليابانيين
٣٥	٢- جذور الفكر القومي الياباني
٣٥	المدرسة القومية.
٣٧	حركة الميتو.

٣٨

المدرسة الغربية

٣٩

٣- الظروف الدولية لسياسة الانفتاح اليابانية في العصر الحديث

٤٢

٤- بداية عصر الدراسات اليابانية الحديثة

٥٠

قضية الأخلاق عند المثقفين اليابانيين في عصر مييجي

٥٢

حضارة اليابان

٧٢

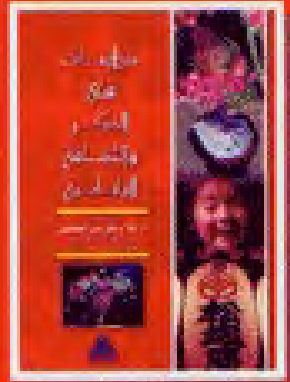
البوشيدو

السيرة الذاتية للمؤلف

- ولد في ٢٦ / ١ / ١٩٥٧ بمدينة السويس.
- تخرج من قسم اللغة اليابانية - كلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٧٩.
- سافر في بعثة دراسية للحصول على الماجستير والدكتوراه عام ١٩٨٢
- التحق بجامعة أوساكا للغات الأجنبية عام ١٩٨٢ كطالب بحث.
- سجل للماجستير بالجامعة الدولية اليابانية عام ١٩٨٤.
- حصل على الماجستير عام ١٩٨٦
- سجل الدكتوراه عام ١٩٨٧ بجامعة تسوكوبا. أنهى دراسة الدكتوراه عام ١٩٨٩.
- قام بمناقشة الدكتوراه بكلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٩٧ وحصل عليها بمرتبة الشرف الأولى

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET



هذا الكتاب

عبارة عن مجموعة من المقالات والايحات المتعلقة بالفكر والثقافة والمجتمع الياباني . ويتناول كل مقال قضية فكرية أو ثقافية أو اجتماعية ذات صدى واسع في اليابان . والدراسات التي لها علاقة باليابان مازالت محدودة في عالمنا العربي خاصة وأن عنصر الزمن لعب دورا هاما في تحقيق الاتصال بين الثقافة اليابانية والثقافة العربية . كذلك فإن البعد الجغرافي كان الحائل الكبير الذي اعاق الاتصال في الماضي وبالتالي لغة الحوار وحركة الترجمة والاحتكاك بين الشعوب . إن هذا الكتاب يغطي مساحة هامة من قضايا الفكر والثقافة اليابانية ويعطي للقارئ العربي الفرصة كي ينهل من المعرفة التاريخية والثقافية عن بلاد الونق الونق - الاسم القديم لليابان - ويقدم معلومات جوهرية عن روح اليابان في الماضي والحاضر . كذلك فإن العلاقة بين القديم والحديث يعد أحد الخصائص الموروثة عن الفكر والثقافة اليابانية . فاليابان كما يقولون قلب قديم في عقل حديث .

يتطلب من



15 مكتبة الكويت الوطنية
مركز رئيس التحرير: مدينة منى العبدون
الكويت رقم الهاتف: 2227774 - فاكس: 2227774
البريد الإلكتروني: lib_raj@national.gov.kw
www.national.gov.kw



15 مكتبة الكويت الوطنية
مركز رئيس التحرير: مدينة منى العبدون
الكويت رقم الهاتف: 2227774 - فاكس: 2227774
البريد الإلكتروني: lib_raj@national.gov.kw
www.national.gov.kw



15 مكتبة الكويت الوطنية
مركز رئيس التحرير: مدينة منى العبدون
الكويت رقم الهاتف: 2227774 - فاكس: 2227774
البريد الإلكتروني: lib_raj@national.gov.kw
www.national.gov.kw